

BOBST LIBRARY

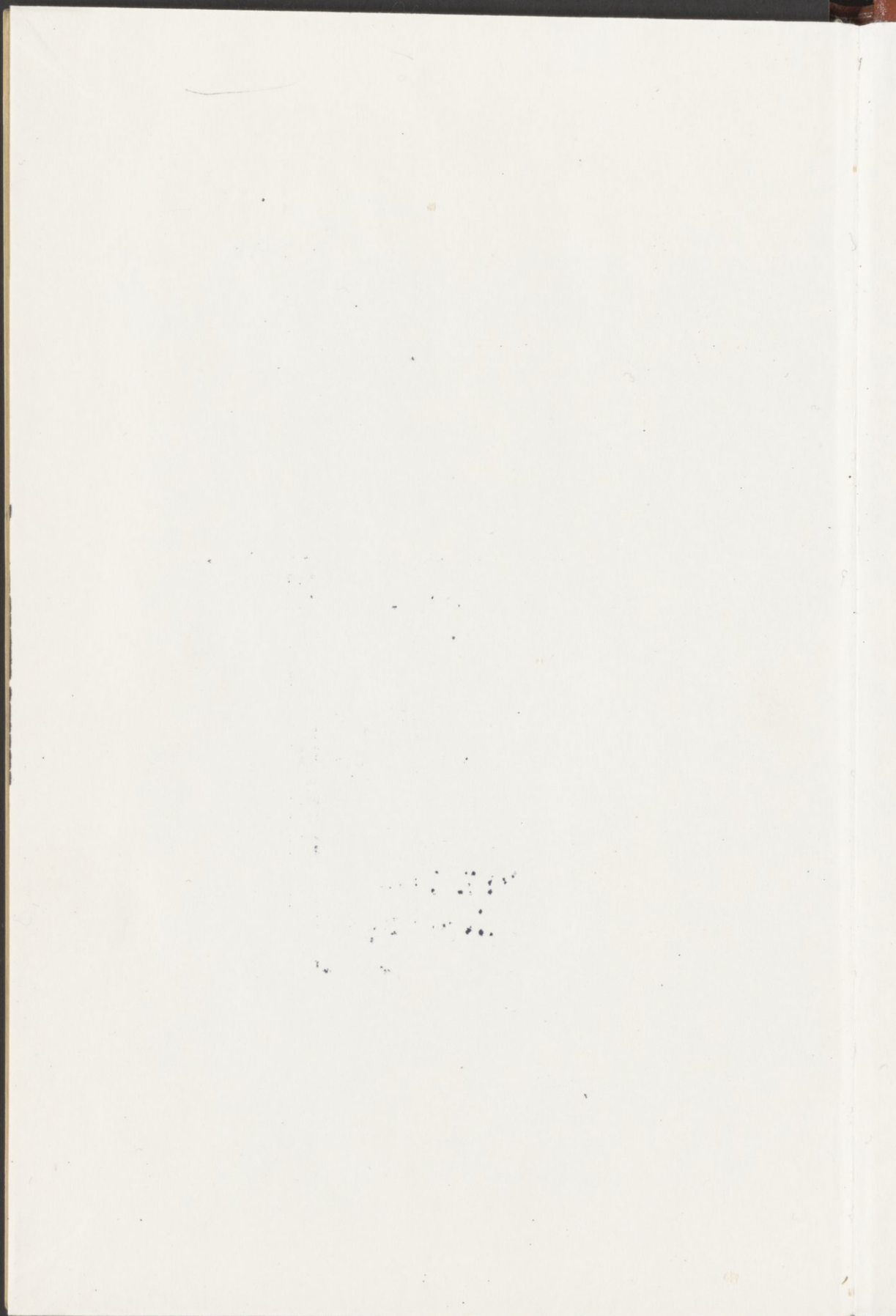


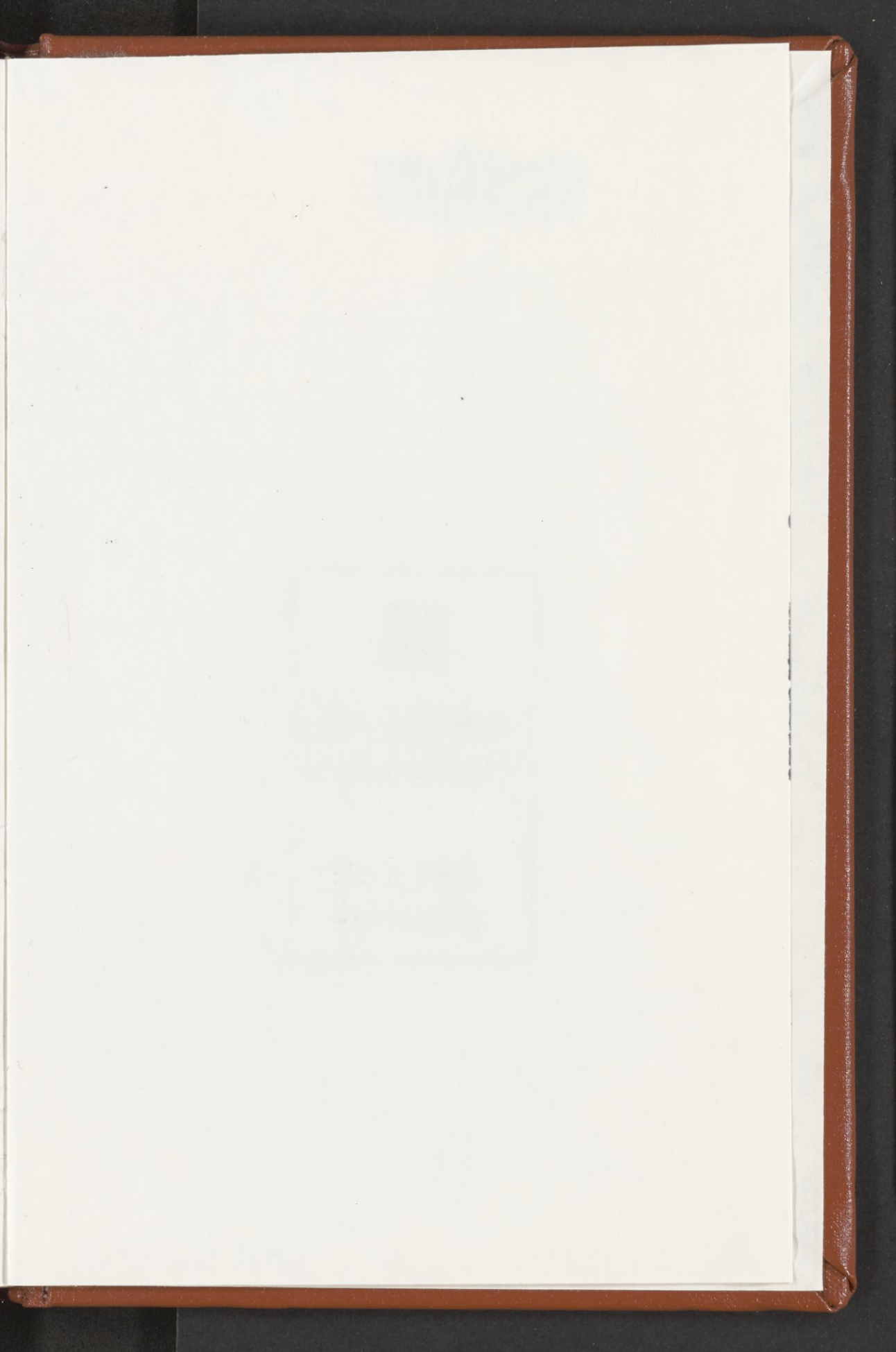
3 1142 01606 0470

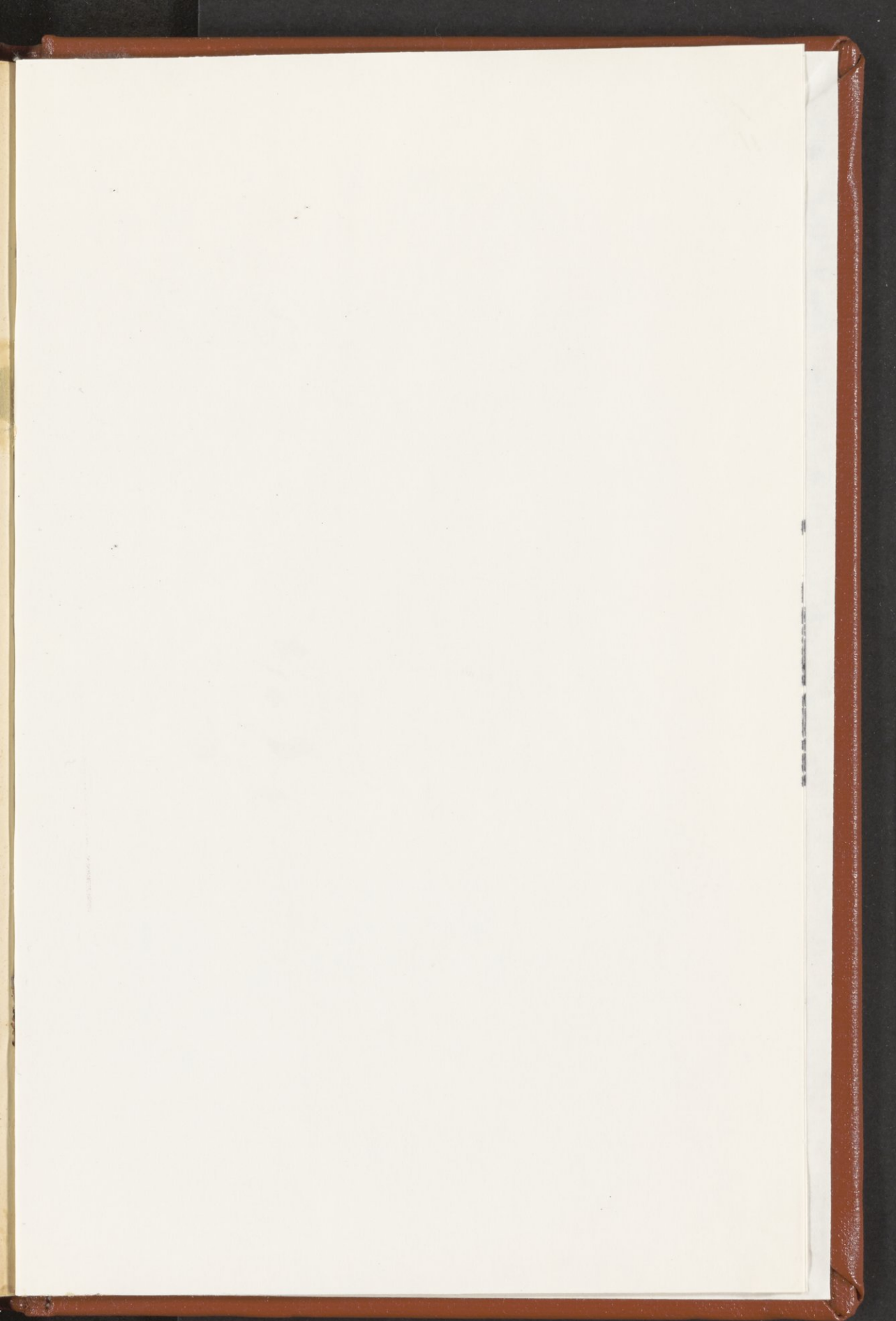


**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**







Nājī, Ibrāhīm
"

/ Madīnat. al-ahlām /

الکتوبر البراصح ناجی

مَدِينَةُ الْأَهْلَامِ

قصص و محاضرات

NYU BOBST-PRESERVATION

L-0452 JN 18 92

فصل في

PJ

7852

AS19

M33

1940z

c.1

الخلاصة

مكتبة

01606 0470

الاهداء

الى الوالد العزيز أحمد بك نايجي

أول قصة سمعتها أننى كانت من شقيقك ، وأول كتاب قيم فحوت عليه
عيني تناولته من هزائنة كتبك ، وأول مرمره فى طريق التأمل والتفكير
كنت لى فيها هادياً ودليلاً . فالى معلمى الاول ، الى المنار الذى سؤ
لى ظلمة الليل

الى أبى الغالى ، أقدم لهذا الكتاب ...

والله

بالحق

بالحق والله اعلم
بالحق والله اعلم
بالحق والله اعلم
بالحق والله اعلم
بالحق والله اعلم

تصدير

ذكريات ووداع

ذات ليلة منذ ثلاثين عاماً سمعت أبي يقص على أمي رحمة الله قصة أوليفر تويست لشارلز ديكنز . لا أزال أذكر تلك الليلة . وهيات أن أنساها . كان إخوتي قد انصرفوا الى مضاجعهم ، وكانت ليلة من ليالي الشتاء ، والريح تعصف ، والمطر يقرع النوافذ بعنف ، وقد سكن الحى سكوناً تاماً ولم أعد أسمع حتى صوت الخفير الذي كنت أشعر له في نفسى برهبة كلما دوى نداؤه في سكون الليل . كنت طفلاً كثير التفكير أصغى إلى صوت المطر ، وإلى عصف الريح ، فأطيل الأصغاء وأدمن التأمل ، وأبني في خاطري لنفسى قصة من قطرات المطر ، وغضب الرياح ، وما أزال أمعن في تخيل القصة وسبكها حتى يغلبني النعاس . في تلك الليلة استلقيت في فراشي وقلت لنفسى ان عصف الريح احوال شيطان ، يضربونه في السماء بالسوط ، وان هذا المطر دموع .. دموع .. وعلى هذه الصورة أخذ النوم يزحف إليّ ببطء ، فطرق سمعي صوت أبي يقص على أمي قصة ... يقصها على مهل وبصوت متهدج حزين ، وبين حين وآخر أسمع صوت نارجيلته ، وأشم لها عبقاً لا يزال في أنفى الى اليوم . فألقيت عنى الفطاء ، وزحفت الى سرير أبي ، فتلقاني بحنانه العجيب . ومرت ليلة بعد ليلة بعد أخرى ، حتى سمعت أوليفر تويست لآخرها ، وطالما رأيت هذا الطفل المعذب في نومي ، وطالما شكوت لأبي ان ثيابه الرثة ترعجني ، فكان يضحك قائلاً عندما تراه

مرة ثانية استوقفه لتعطيه ثوبا مما لديك ... ومرت سنتان، قرأ لنا أبي فيها غير ديكنز .
قرأ كونان دويل ، وهاجارد وغيرهما ، فكنت أجرب في اخوتي طرق شرلوك هولمز
وأخيفهم بما عرفته من هاجارد عن السحرة في مجاهل أفريقيا ...

ومرت سنتان كذلك وجاء يوم لا ينسى . زف الى أبي أبي نجحت في الابتدائية
وسألني عما أريد أن يهديني اياه ، قلت كتاب ، فتهلل وجهه واصطحبني الى مكتبة
ديمر التي كانت قائمة في ذلك العهد في شارع كامل واشترى لي قصة دافيد كوبر فيلد
لشارلز ديكنز . وأوصاني أن أقرأها كلمة كلمة ، وأن أستعين به في فهمها ، فصنعت ،
وقد كنا نسكن شبرا ، وشبرا منذ ثلاثين سنة كانت بساطاً أخضر شعرياً بديعاً
تتوسطه ساقية وعلى حفافيه شجرات جميز ؛ وتوت ، فكنت أمضى الى تلك
الروج ومعني صديق تأملاتي دافيد كوبر فيلد ، فما زلت به حتى قرأته مثنى ومثنى وثلاث
ورباع ، وما زال بي حتى خلق مني أديباً وشاعراً ساعده الله ! الحق أني لا أدري أحسن
القدر الى أم أساء . أبي كان يحب ديكنز اليّ ليصقل شعوري ، ويزرع فيّ الانسانية
ويعلمني التأمل والملاحظة ، أما ديكنز فقد جيب الى الأدب على الاطلاق ، وأما دافيد
كوبر فيلد ، فقد خلق مني شاعراً ، وجعلني أبحث لي عن « دورا » أخرى أشرب
من عينها خمر الحياة ، وأتلقى من شفيتها أسرار الوجود ؛ ساعده الله مرة ثانية ، لقد
عذبتني « دورا » هذه وشطرت روحي شطرين

أراد ابي شيئاً ، واراد ديكنز شيئاً ، وأراد كوبر فيلد شيئاً ، وأراد القدر اشياء
غير هذه ! ما أظلم القدر ! فقد شاء أن اكون طبيياً . وليس بالطب من حرج ، وانما
الحرج أن يكون الخيال مركباً في طبيعة انسان ، فاذا بالقدر يواجهه بالواقع ويصدمه
وانما الحرج أن يكون الشعر مركباً في طبيعة انسان، فاذا بالقدر يضعه فوق أسنة المادة
ويزجه في الدائرة التي لا شعر فيها ولا وخيال ! وانما الحرج أن تكون طبيعته أن

ينصت الى آنات الروح ، فيأخذه القدر الى حيث ينصت الى آنات الجسد ، وشتان
بين هذه وتلك ! وانما الحرج أن تجذبه طبيعته لناحية ومهنته لأخرى ، حتى يتمزق
بين شد هذى وجذب تلك ، وانما الحرج أن تراه يلائم بين الضدين ، ويوفق بين
النقيضين . وأخيراً ! أخيراً يلتفت فاذا نفسه أشلاء ؛ وإذا الذبالة تحترق والزيت
ينضب واذا معين القوة قد أشرف على الزوال ، واذا الجبار قد مزق اوصاله ذلك النضال
العنيف بين الفرائز والقدر ، بين الميول والصروف ، بين الخيال والمادة ، بين الوهم
والواقع ، بين الروح والجسد !

بالأمس أخرج الشاعر ديوانه ،

واليوم قد أخرج القاص ما لديه من قصص . وافضى الفكر بما أبتج فكره .
وغداً ينطوي الشاعر ، وينسى القاص ، ويتلاشي الفكر . . غداً يتغلب القدر ،
وينهزم الخيال ، وتطمم الروح اعز امانيتها ، واغلى ميولها ، غداً تحرقها وتنظر الى
لهيبها كما تنظر الي الشفق والشمس ذاهبة ، غداً فراغ . غداً يمشى الطيب الى
قبر الاديب الذى كان ذات يوم هو نفسه وقد حمل في يده زهوراً . فيضعها عليه
دامع العين ثم يعود فاذا الطريق خاوية مقفرة واذا به في زحام الناس . كواحد من الناس
يجوع فيأكل وتضحك له الدنيا فيتهلل . وتعبس له فينقبض . فعل منعكس
واستجابة لدافع .

ويعر به الجمال ، فلا يرى فيه غير مظهره ، وأما المعنى والروح فقد مضى
بهما الشاعر رحمه الله . . . ويستمتع للموسيقى ، فيصيح مع الصائحين ، ويصخب مع
الصاخين ، اما الالوهة ألدنية التي تقف بالاستمع على حافة الابدية ؛ أما السلاف
السماوية التي تنسكب فى أعماق أنفس ، كل هذا انطوى مع الفنان الذاوى
وأسفاه . . وغداً يمر بالناس ، فيراهم صوراً متشابهة ، آلات فجمها الرزق ، ومحركها

الجنس والجوع ... أما الفيلسوف الذي كان يرى كل صورة ، بل كل صغيرة في كل
صورة ، مجال تفكير وتأمل ودرس ، أما ذلك الفيلسوف فذهب في أثر الشاعر
والفنان . . .

وداعاً أيها الشعر

وداعاً أيها الفن

وداعاً أيها الفكر

وداعاً . ودمعة مُرة وابتسامة أمرّ !

ابراهيم ناجي

كلمة

مدينة الاحلام

قصة مصرية

مَدِينَةُ الْأَحْلَامِ

في صباح يوم من أيام الشتاء كانت حارة علام بقرب شارع محمد علي قدرة مترا كمة الأوحال وكان البقال عبد الدايم يفتح حانوته وبائعة اللبن تفرع باب المنزل المجاور . ومرت بضع عربات كارو . وأخذ صاحب القهوة البلدي المواجهة للمنزل يصف كراسيه ويسعل سعالاً جافاً وتبادل البقال عبد الدايم والمعلم سلام صاحب القهوة التحيات المعتادة وظلت بائعة اللبن تفرع الباب على غير فائدة . وصاح بها البقال : « الجماعة عزلوا » فتحركت الورقة « للايجار » المعلقة بالشرفة كأنما تثبت وجودها وتؤكد كلام عبد الدايم . ثم زادت الحركة في الحارة ونزل الصبية يجعلون من الوحل ميداناً ، ومن البرك ملاعب يسبحون فيها وجاء الباعة ينادون على بضاعتهم وجلس بعض النسوة على جانبي الطريق يعين طعامهن القدر ويجمعن الذباب وينشرن الأوبئة وأخيراً تمت صورة كاملة من صور تلك الحواري البائسة المنسية ، وكانت الشمس لم تبدد تماماً الضباب الخيم على ذلك الحي فكان الجو صافياً من ناحية وغائماً من ناحية أخرى ومهدداً بمطر جديد تعلو به الأوحال وتتسع البرك .

وماذا يهم ذلك ، أوحال أو برك أو غيم أو صفاء أو ضنك مخيم أو عدل شامل . اذا طلع الصباح فتح عبد الدايم حانوته والمعلم سلام قهوته وجلست أم آمنه بائعة البرتقال بمشنتها فاذا انصرم النهار أبوا جميعاً إلى مساكنهم المريعة ، ليعودوا في اليوم التالي وتجري الحياة مجراها في الرزق الضيق والبلاء الواسع !

كان المعلم سلام يصيح بصبيه غاضباً ويلعن اليوم الذي جاء فيه الى القهوة ، ثم

يتبع ذلك بسعالة الجاف ، والبقال عبد الدايم يزن رطلاً من الصابون ويحلف انه لا يوجد أدق من ميزانه ، ولا أحسن من ذمته وكان الذباب يحتفل على مشنة أم آمنه فاذا دفعته قائلة : « هس » جمع جموعه وعاد يغطي تماماً البرتقال الصغير الجاف المنقوط. كان هذا يحدث في حارة علام حينما وقفت عربة كارو تحمل أمتعة وتقف أمام المنزل الخالي فترك البقال الميزان ، وترك المعلم سلام صبيه ، وترك الذباب مشنة أم آمنه ، وانضم اليهم بعض الصبية ، ومضوا في موكب ، ليروا من الساكن الجديد ولينظروا نظرة تقديرية الى الأمتعة ، من صحاير وحل وكنبات وكراسى ودواليب وفي الحق لم تكن تلك الأمتعة دالة على الفاقة ، بل دالة بشكلها وصبغها الحائلة على عز قديم وفقر جديد وكان يرافق العربة شاب على دراجة وكنت ترى على بذلته وحذائه طابع الفقر ولكنك كنت تلمح في الياقة النظيفة والقميص الأبيض ، وفي وضع الطربوش ورباط الرقبة ، رمز الأصل القديم ، وتؤمن بذلك وهو ينزل عن دراجته ويمضى الى الباب ليفتحه . لقد كان يمشي مشية الأمير المخلوع وينظر الى الحي الفقير نظرة طويلة مستسلمة . وكان اسمه — أمين سليم — وكان المنزل مكوناً من طابقين كلاهما خالٍ . ولكنه اختار اعلاهما .

نادى على الحوذى أن يحمل الأمتعة ويضعها في ردهة الطابق الأرضي . فاستعان الرجل بزميله وأخذوا يراكمونها فلما انتهوا من عملهم أخذ أمين يبحث في جيوبه عن الأجر والرجل ينظر اليه نظرة النسر يريد أن ينقض ويعد نفسه للعراك ويتهبأ له لقد كان الرجل متفقاً على أجر معلوم ومع ذلك فهو من تلك الفئة المجرمة التي تضطرها الفاقة ألا تحافظ على قول ولا تبقى على ميثاق . ومع ذلك فهي فئة تأسرها الضحكة الطيبة والكلمة الرقيقة وفيها كثير من الخلال الكريمة والنخوة والاريمية وكان أمين ذكياً يفهم ذلك أتم الفهم فبسط اليه — ضاحكاً ضحكته الوديعه — كل الفكاهة

التي في جيبه قائلاً اللي انت عاوزه خده نخبج الرجل النسر وتدلى منقاره في ذلة ،
وتوارت شرسته . واكتفى بأجر يزيد زيادة معقولة أخذه وانصرف .

وبعد قليل جاءت عربة تحمل سيداً وسيدة وخادماً وكان السيد شيخاً قارب
السبعين يحمل وقار مجد سالف فوق وقار السنين وفوق وقار الصبر الذي ارتسم في
تجاعيد وجهه وكانت السيدة أقل منه سناً لاتزال تحتفظ بالبرقع الأبيض وبمسحة
من جبال ذاهب وبقية من كبرياء أناخت عليها السنون .

أسرع الخادم فقرع الباب . ففتح لهم ووقف أمين على عتبه مرحباً ، وساعد
الوالد والوالدة على النزول من العربة فلما دخلوا المنزل وصعدوا الدرج الخشبي أوشكت
الشفاه أن تحتج ووقفت الدموع المكظومة على طرف المحاجر ذاهلة : ثلاث غرف
صغيرة وأخرى في السطح ، ونوافذ بالية قديمة تطل على منازل مجاورة منغمسة في الظل
والظلمة ، توج سطوحها بالنسوة هذه تنشر غسيلها ، وتلك تخاصم جاريتها وتنشر
لها ماضيها القدر!

ولكن القلوب النبيلة شبيهة بأشعة الشمس فهي تنزل بالروضة الجميلة ، كما تحل
بالأرض الموحلة لا تتغير ولا تكون غير أشعة الشمس ، فان الغيوم مرت على تلك
القلوب الكريمة لم تلبث حتى تبددت وعادت الأشعة الى الاشراق وأخذ الجميع
يتعاونون على تنظيف المنزل وترتيب الأثاث واختص أمين نفسه بغرفة السطح فنقل
اليها كتبه وسريره وأدواته القليلة .

*
**

وبعد أسبوع جاء مستأجرون للطابق الأرضي ووقفت عربة كارو تحمل أمتعتهم
وتلتها عربة تحمل أفراد العائلة وهم سيدة كهلة وفتاة رائعة الحسن وخادمه .
وكانت الساعة الخامسة مساءً حين عاد أمين متعباً يحمل كتبه ويحمل فوق

منكبيه عبء رجولة مبكرة ، ولم يكن قد علم بعد بالجيران الجدد ، فلم يكده يصعد الدرج
حتى خرجت الفتاة لترى القادم فصاحا في وقت واحد :

— سنينه :

— أمين

ولولا أن أطلت رؤوس الوالدين ناظرة بعيون مذهولة إلى هذا التعارف الفجائي ،
لرأينا عنق الشوق المكظوم واللهفة المستترة أعواماً لا تعد !

منذ عشرين سنة كانت شبرا الجميلة كالزمردة الصافية ترهو باليانع الأخضر .
والبساط الرائع الذي هو سحر مصر ، وفتنتها العتيقة التي جرت إليها الغزاة أجناساً
ونحلاً ، نعم شبرا الجميلة . التي اكتظت اليوم بالساكنين المتلاصقة وأفسدتها المدينة
الجديدة ، ونزح إليها خلق كثير من اشترى تلك المروج البديعة وابتنوا بها مساكنهم
الصغيرة المتقاربة ، كانت بساطاً واحداً ، قامت في وسطه هنا وهناك منازل كحمامات
بيضاء بسطت أجنحتها ، وهمت أن تطير إلى ساقية أو قناة أو غدير ، وكنا نعود من
مدارسنا في غروب الشمس ، فنترك كراسياتنا وكتبنا في بيوتنا ثم نسرع إلى تلك المهاد
حيث ربا صباونا ونما مع الغصون النامية وحيث تنسمنا الريح الرقيقة ، فجرى الشعر
في دمننا ، والحب في أرواحنا ، والصفاء في طبائنا ، أيام كنا نثب فراشات مع
الفراشات الهاربة وأشعة مع الأشعات الغاربة ، وما نزال كذلك حتى تخور قوانا
فترجع لنذاكر أو ندعى أننا نذاكر ، فإذا كانت ليالي القمر نطلع على الحقول
الساكنة والسواق الحاملة . جلسنا عند شجرة ، فإذا الشجرة تصغى والليل الجميل
يرهف أذنه إلى حديث أطفال تتبدد موجاته في بحر ذلك السحر الرهيب سحر القمر
والطفولة والمروج .

* * *

ففي ليلة من ليالي رمضان التقى الصبي أمين سليم برفقائه تحت شجرة الجميز الكبيرة القريبة من الساقية ، وجلسوا يتنادرون وحديث الصبية لا يعدو المدرسة والمدرسين والامتحان ، فاذا خرج عن هاته الدائرة يعرض للمبالغات ، والادعاء والفخر والتشبه بالرجال ، وأحياناً يكون سكون الليل وجمال القمر مغرياً على اعترفات يتبادلونها همساً شأن الكبار ففي الليلة التي نحن بصدها كان أكبرهم سنّاً يسخر من أمين ويقول: بالكم أمين ده اللي اتو شايينه ساكت ده كل يوم وهو راجع من المدرسة يشتغل خدام لسنينه بنت شكري بك ويشيل لها الكتب بتاعتها!

فضحكوا كلهم وصاحوا: صحيح؟ فنجل ولم يجب وكان صمته اعترافاً. على ان الصبي كان في هذا العمر الناضر جاداً غير عابث وقد حزن لذيوع سره ، وجعله موضع دعاة ، ولبث واجماً حتى انصرفوا كل الى منزله

قبل هذه الليلة بشهرين ، وقفت الصبية الجميلة سنيه أمام باب المدرسة تنتظر الخادم . وكان يبدو في وجهها الناحل سحر وخيال وابهام كل ذلك في سمرة كسمرة الفجر وحمرة على الخدين حمرة الشفق حمرة تزداد وضوحاً كلما لحظتها أعين الصبية الواقفين عن عمد أو غير عمد ، ويزيدها حلاوة وغرابة . مربية المدرسة الزرقاء والقبعة النظيفية السليمة الذوق تنساب من خلفها ضفيريّتان من الشعر الأسود الحالك وفي نفس الوقت خرج أمين سليم من مدرسته في نفس الشارع ووقف أمام باب المدرسة ينتظر الخادم .

طال انتظارها لخادمها . وطال انتظاره لخادمه ، فلم يأت هذا ولاذاك ، فضجرت وضجر ، واعتزمت أن تعود وحدها على غير عادة ، واعتزمت كذلك ، ومشت الفتاة لاتلفت يمنة ولايسرة ، وتعمل بنصيحة امها ، (ماتكلمش حد) وترك الفتى باب مدرسته ، مهرولا ، وكان يرتدي بذلة جميلة غالية الثمن ، ولكنه كان يبدو عليه

الاهمال في ملبسه ، ويبدو على وجهه النحيل أثر التفكير
وكان الطريق إلى المنزل يعترضه « مزلقان » وطالما راح القطار وجاء في « مناورة »
ثقيلة ، وربما كنت ذاهبا الى موعد أو مدرسة ، فوجدت سلم المزلقان ينزل في سرعة ،
ويحول دون مرورك ، ويبدأ القطار الثقيل في الغدو والرواح
ففي هذا اليوم كان الشارع مزدحما بالباعة والعربات الكبيرة التي تحمل الحجارة .
والمزلقان قد نزل سلمه ، والقطار العجيب يروح ويغدو

وفي الساعة التي اختارها القدر ، وقفت سنيه أمام المزلقان ووقف امين ، وجاء
غلام يدفع عربة يد ، فمست يده يد سنيه فسقطت كتبها فتناولها امين الخبيث ولم
يعطيها إياها

علت خدها حمرة الشفق ، وطغت على الحدود المألوفة . وأطرقت لاتدري ماذا
تصنع ، بعد ذلك رفع المزلقان سلمه وأخذ الناس يتدافعون ، ويتراحمون
بالناكب فتقدم الصبي والصبية ثم جمعهما القدر في سبيل واحد وسارا صامتين ،
زمننا لا حساب له ، حتى وقفت فجأة فادرك انه قد آن أن يفترقا ، فاخرج لها كتبها ،
ثم عز عليه ان تمضي بدون أن يتعارفا فسأل :

— اسمك ايه

— سنيه شكري

— وانا امين سليم

— في سنه ايه ؟

— سنه رابعه

— وانا كان

— ساكنه فين ؟

— في شارع شبرا . . .

— قريب منا يارتك تيجي مره في القمر تقعد تحت شجرة الجميز قرب الساقية
ولاح خيال خادمه من ناحية وخادمها من الناحية المقابلة ، فابتعد وابتعدت
وصار يراها كل يوم فيتبادلان التحية بالنظر ويتمنيان لو أن الخادمين مرضا أو غابا
أو اصابهما حادث

ثم انقطعت عن المجيء ، وصارا الطريق مقفراً لا يطاق ، ومضى في ضوء القمر
الى الشجرة التي تمنى ان يراها عندها ، مضى مراراً ، والحين اليها يتسع في قلبه حتى
صار ناراً آكلة

ذات ليلة ذهب في سرب من رفقائه الى حيث يتلاقون ، فر بسرب من الفتيات
يتحادثن عند باب منزل فطرق اذنه صوت يعرفه ، فتخلف عن اصحابه ، ووقف في
ناحية يسترق السمع فسمع سنيه (وكانت هي) تقول همساً لصاحبة لها :

نعم التقط كتبي ووضعتها في محفظته وتمنى أن يلاقيني في ضوء القمر تحت شجرة
الجميز عند الساقية . أنه غير جميل ولكنه رقيق ومن عائلة كبيرة على انه قد
نسيني بالطبع

نخفق قلبه ، وانكش في الظلمة الكثيفة واجابت دمعة حارة ان هذا غير صحيح
ثم سمع خطاها تتبعد ، وهو في الظلمة جامد في مكانه ، ثم مرت الأيام وابتعدت
خطاها عنه في الحياة

واقبل الفقر يطحنهما متفرقين ، حتى التقيا في المنزل الحقير بحارة علام
كان الليل هادئاً والقمر في السحب الصافية يلوح جليلاً في حيرته ، يبدو من
خلال سحابة ثم يستتر وراء اخرى ، وكأنه ينظر الى الدنيا بعين ملولة ، ويرى ان
اهلها لا يستحقون ما يقدمه اليهم من النور القدسي الجميل ، اذ بينما يشع عليهم من

وجدانه وقلبه يغط بعضهم في النوم ، وبعضهم لا يفهمون انه يعلمهم السمو والنبيل ،
فيمضون الى اتيان لذة محرمة أو منكر لا يليق ، نعم كان القمر في تلك الليلة يعتزم ان
لا يطلع على الدنيا واستتر وطال استتاره لولا ان اليد الخفية الجبارة دفعته من وراء
السحاب فطلع كارها ، وغمر نوره القاهرة وفاض على اعالي القصور كما فاض على
السطوح الفقيرة في حارة علام

في تلك اللحظة فتح امين سليم النافذة وتنفس طويلا ، ونظر الى القمر نظرة
مبهمة ثم عاد الى النافذة ، فاغلقها في ضجر وملال

واستوى امام مائدته ، وجعل مصباحه قريبا من يساره ، وفتح كتابا ثم اغلقه ،
واجال بصره في الغرفة الفقيرة الاثاث . فهذا سريره الذي ينام عليه منذ عشر سنوات .
تفككت اعمدته ، وطالما اصلحها فعادت كما هي ، فقل اصلاحها ، ورضى بصريها
المزعج كلما حدثته نفسه ان يرتاح على فراشه ، وهذا هو الكرسي الطويل بجانب
السري ، وطالما اكتفى بالنوم عليه وتلك هي السجادة الوحيدة الباقية من فرش القصر
الكبير ، وهذا هو رف الكتب ، قطعة عادية من الخشب مفروشة بالورق الملون
المقصود ، وذلك هو مصباحه الباهت النور ، مصباحه الثقيل الذي ينخفض نوره
من نفسه ويحتاج الى يد تعليه كل آونة ، فاذا علا اندفع لسان من اللهب يهدد الزجاجة
بالكسر والسقف « بالهباب »

في تلك الليلة كان امين يرتدى جلبابا خفيفا ايض . وكان وجهه شاجبا قلقا ،
وكان يفتح كتابا ثم يغلقه ، ويضع نظارته على عينيه ثم يخلعها ، ويجلس على كرسيه
قبل المائدة ، ثم يتركه ليجلس على حافة السرير ، ثم يترك حافة السرير ليجلس على
الكرسي الطويل

فبينما هو في ذلك القلق الغريب ، دق الباب دقا خفيفا ، فوثب مرتجفا واسرع
اليه وما لبث ان صاح هامسا :

— سنهيه ؟

— (بهمس وخوف) ايوه ...

واقفل الباب عليهما في حرص وسرعة

وكان المصباح الملعون قد عاد نوره الي الانخفاض واصبحت الغرفة في شيء من الظلمة ، وترامت ظلال كثيرة على الحائط جعلت الغرفة كالمعد المرهوب ، وفي وسطه عابدان لا يتكلمان ، وانما تقول الظلمة ، وشعاع القمر الداخل من النافذة كاللص ، انهما لبنا متعاقين ، كالموجتين ، وجلبا باهما في البياض كرعوة الزبد . وتخلصت سنهيه بلطف ووقفت بعيداً ، وكان قوامها ممشوقاً وشعرها المهمل الجميل قد قارب وجهها فأزاحتها بيدها البضة الناعمة ، ومضت إلى الكرسي الطويل مهالكة ، وجلس أمين على السجادة مسنداً رأسه إلى ركبتيها وصار يتكلمان همساً :

— كم سنة ياسنيه ، والله مانسيتك لحظة . شوفي افتقرنا وجينا في حارة في

شارع محمد علي

فأرسلت سنهيه دمة حارة ولم تجب ، فاستمر قائلاً — ودخلت التعليم العالي مجاناً بواسطة ، وعلى أن أشغل وأن أنجح بسرعة ، والا ماذا يصنع أبي المسكين ، فلم تجب سنهيه . وأمسكت برأسه ، وجعلت وجهها اليها تطيل التحديق فيه ، ثم قالت حزينة :

— حالكم أحسن من حالنا بكثير ، أبي مات ولم يترك لنا شيئاً تقريباً ، وصارت الحال تمشي من سيء إلى أسوأ حتى جئنا أيضاً إلى الحارة نفسها في شارع محمد علي !

فدرف بدوره دمة ولم يجب ، واستمر الصمت وأخذت الذبالة في المصباح الملعون تنذر بظلمة كاملة ، واذا بمواء قطتين ذكر وانثى بالطبع ، يتحaban في ضوء القمر ؛ ويسران الطبيعة بتحقيق أحلامها

فضحكت سنهيه وأمين معاً وهمست ، دي قطتنا وقطكم ، ثم زمت شفيتها في

خفة معبودة وقالت : ألا تذكر يا أمين أحلامك في شبرا ، وأمانيك أن نتحاب في ضوء القمر ، لقد أنعمت الدنيا بأمانيك على قطبتينا ، أجب : معلقش ياسنيه آدي احنا اتقابلنا ، وما دمت اراك فسأشتغل وأنجح ، ولا يلبث هذا الضنك أن يزول ؛ فصاحت فجأة كأنما رأت الضنك قد زال حقيقة :

— وبعد أن يزول الضنك ؟

— نتزوج

— وبعد ذلك ؟

— يكون لنا أولاد

— وبعد ذلك ؟

نكون قد اقتصدنا مالا كافيا فنبنى منزلا خاصا

— وأمي ، وأبوك وامك ؟

يكونون قد تقدموا في العمر ، فنسعد مشيهم ونجعله كل رخاء .

— وحبنا ؟

— يزيد على السنين ، وينمي من ناحيتينا اخلاصى واخلاصك وتسامحك وتسامحي .

ثم همت ان تلقى سؤالا جديداً ، ولكن غمامة عبرت فكرها فجأة ، ولاحت

لها صورة لا تحبها ، فادرك ذلك امين فسألها فامتعت عن الاجابة ، فالح ، فقالت

«واذا تعرض لنا زكي ابن خالتي !»

فانتفض امين وتغيرت ملامحه ، وتركت رأسه ركبتيها ودار بعينه في الظلمة

يبحث عن زكي ابن خالة سنه ؛ زكي الثقيل بجسمه الضخم ؛ وسوالفه الكريمة ؛

وعينه الزجاجية ؛ وغناه الفاحش . واللبانة التي يمضغها — دائماً . . . دائماً .

تغير الفتى الوديع عند مرور تلك الصورة البشعة وقال اقتله والويل لك اذا فكرت

في ان تميلى اليه

قالت — انت تهيننى واذا ذكرت هذا ثانيا فلن أعود أبداً
فاستعطفها وعاد ليسند رأسه على ركبتيها
وطردا تلك الصورة الكريمة ، وعادا ليكملا مدينة الاحلام . واوشك الفجر
ان يطلع على تلك المدينة التي جلسا بينانيها معاً . فوقف امين حفاة ، قائلاً

— سنيه

— نعم

— شايفه الفجر اللي قرب يطلع ؟

— ايوه شايفاه

— احلفي انك لى وحدي ؟

— احلف

— هاتي فمك

فمدت اليه شفة سحرية رطبة كالشليك الندى ثم انسلت الى غرفتها ، وهي تنزل
السلم في بطء وحذر !

وكان ذلك اللقاء يتكرر ومدينة الاحلام تبنى مع الليل وتتبخر مع الفجر . وامين
يدأب . ويرى امانيه تدنو . حتى كان ذات صباح خارجا بكتبه الى مدرسته فرأى
زكي ابن خالة سنيه جالسا الى مائدة في قهوة المعلم سلام فعجب من تلك الجلسة المبكرة
وكان شجاعا يفضل مواجهة الامور فمضى الى غريمه توا :

— صباح الخير ياسى زكي ايه اللي جابك الصبح بدري كده

— فاعتدل سى زكي فى كرسيه بكبرياء وقحة وأدار اللبانه فى فمه القبيح وقال

بلهجة ساحرة :

— علسان ازور قرابيننا جيرانك . وصفق على الصبي ثم مديده الى جيبه يرن
النقود ويؤكد لامين من جديد انه غني وانه بهذا الغنى سيملك ابنة خير انه

قال امين :

— ولكن الزيارة تبقى بدرى كده ؟

— ده مش شغلك

فتار الدم في وجه امين ولم يدر بالضبط ماذا حدث غير انه وجد القهوة ممتلئة
بالناس ووجد سى زكي في وسطها والدم يسيل من انفه وهو يسب ويلعن ورأسه عار
وسوالفه القبيحة ملوثة بالدم

والحقيقة ان امين بدون ان يدري ما هو صانع تناول كرسيها فهرب سى زكي
الى داخل القهوة فطار الكرسي وراءه وتبعه آخر بنفس السرعة فاصابه في انفه فلما
رأى الدم هاجه ذلك ووثب بجسمه الضخم على غريمه ولكن المعلم سلام كان قد جاء
وجاء ناس آخرون فخالوا بينهما وتهدد زكي وتوعد وقال بكره تشوف

وجمع امين كتبه في كبرياء وانفة ، وانصرف بدون ان يرد .

وقالت سنيه لأمين في غرفته بعد ايام :

-- اما علقه اللي كلها زكي . تعرف انه دخل عندنا بعدها . وأمى أكرمته
وطيبت خاطرهم ومسحت له جرحه ووضعت له صبغة يود . أمى المسكينة تراه غنياً
وتلاطفه لعله يتزوجني . وهو يدخل بيتنا ويتقرب الينا لهذا الغرض . أمس جاء
عندنا وقال لأمى ان الحكيم قال له ان عظمة انفه من فوق انكسرت وستترك عاهة
مستديمة . لأن انفه ينخسف من أعلى . وسيرفع عليك قضية

فضحك امين وقال : لتزيد شكله قبحا . أما القضية فليرفعها علي في اوربا ..!

فسألت مندهشة أوربا ؟ كيف ؟

قال : انا نجحت في الامتحان الاخير كما تعلمين . وسأسافر في بعثة ان شاء الله
بعد اسبوع .

فصرت صدرها بيدها . قائلة اتركنا ؟ قال نعم لكي اختبر القسم الذي أقسمته
والفجر موشك الطلوع . قالت وهي تجيش بالبكاء . كن مطمئنا . واعتنقا . وطال
عناقهما . ثم انسلت الى غرفتها . وهي تنزل السلم في بطء وحذر

* * *

من أمين الى سفيير

لندن في ٧ ابريل سنة ١٩٢٨

حبيبتى سنيه

جلست وحدي في غرفتي قرب المدفأة اقرأ خطاباتك الجميلة . خطاباتك التي
ملأت حياتي أملاً . وانستني غرقتي وجعلت مني رجلاً . لقد كان خيالك الجميل .
واقسامنا كل ما أوشك الفجر ان يطلع ومدينة الاحلام التي شيدناها معا . تلك
الصور كانت لا تبارح ناظري . نعم مرت سنون جهاد عنيف . ولكنني لم اكن أعبا
بها . ولا ابالي بمتاعبها . ما دمت في انتظاري

أه ياسنيه ان لندن بحالها . لندن العظيمة الضخمة . لا تساوى ركننا من مدينة
الأحلام ! وعلى ذكر هاته المدينة المسجورة اني اراك الآن في ركن منها يغمره القمر .
وتنام فيه الزهور آمنة ، نعم اراك الى جانبي وامضي في تقبيلك بلا حساب ...!

حبييك

أمين

* * *

من سفيير الى أمين

القاهرة في ٢٥ مايو سنة ١٩٢٨

حبيبي امين

استلمت خطابك وسرني ان اسمع انك في صحة جيدة ، اما نحن فقد ضاقت بنا
الحال ، شكرا للنقود التي ترسلها الينا مما تقتصده ، واننا نعلم ما يكلفك هذا من
التقتير على نفسك وانت في بلاد غريبة ، نعم ضاقت بنا الحال يا امين وتركنا جيرتكم
الهنئية . ورحلنا الى منزل اقل إيجارا . وقبل ان تنتقل اليه صعدت في الليل الى
معبدنا المقدس . ووقفت عند باب غرفتك . استعيد الماضي الجميل . ومدينة الاحلام .

منى تعود لنتم بناءها !! متى ؟
حبيبتك
ملحوظة : اكتب الى على شباك بوسنة الفجالة . !
- فهد

* * *

من أمين الى - فهد

لندن في ١٥ سبتمبر سنة ١٩٢٨

حبيبتى سنية

أ كتب اليك والفرح يملك على مشاعري . واني لوانق ان الخبر الذي ساقصه
عليك سيدجعلك ترقصين من السرور . لقد نجحت . واقبل على عميد الكلية يهنئي
فقد جاء اسمي في قائمة الشرف
انا عائد ياسنية . عائد بعد مضي أربع سنوات لا اعلم كيف صبرت على قضائها
بعيدا عنكم ؟

اطوى البحر والبر بالفكر اليك . واقبلك طويلا
حبيبتك
أمين

من - فهد الى أمين

٢ اكتوبر سنة ١٩٢٨

حبيبي امين .

استلمت خطابك الاخير من بوسنة الفجالة . وقرأته كثيرا وقبلته مرارا . دامعة

العين شديدة الشوق اليك . الدنيا فراغ شنيع بغيرك والايام لا معنى لها . عد لتي
تحبك وتنتظرك .

سفير

(ملحوظة) اعذر اختصاري هذه المرة فاني لسدة الفرح بك لا ادري ماذا اكتب.

* * *

في يوم ممطر كانت باخرة تقترب الى الشاطيء في ميناء الاسكندرية ووقف
المنتظرون يترقبون العائدين . ويلوحون بمناديلهم . واقتربت الباخرة ببطء . ثم وضع
السلم . وصعد ضابط الميناء ورجاله ثم سمح للركاب بالنزول . فاسرع من بينهم شاب
نعرفه . يلبس قبعة ويحمل نظارة نزل السلم بسرعة . وتلفت هنا وهناك فناداه الشخص
الوحيد الذي ينتظره

— امين !

— ابي !

وكان عناق رائع حار ودموع . وبعد ان تم تفتيش الحقائب . اقلتها عربة الى
القطار المسافر الى القاهرة . وفي القطار علم امين ان امه مريضة بالروماتزم :

— مش قادره يا بني وانا كان . الربو تاغبني قوي ومنذ اسبوعين كان عندي ورم
في الرجلين والحكيم امرني بالراحة ومنعني عن اللحوم والملح وكان جيراننا عائلة شكري
بك يواسوننا ولكن الحالة ضاقت بهم فعزلوا الى منزل ارخص

نحفق قلب امين واحس شيئاً ثقيلاً ينحدر في صدره

— وزارونا مرتين بعدها . والشقه والله فاضية لغاية دلوقتي . وانتقل الحديث
الى ايشاء اخرى . وبلغا القاهرة ثم المنزل ووجد امين الدور الارضى خاليا . فاحس
بفراغ كفراغ المقابر . وكانت والدته في فراشها . وقد اقعدها المرض . وشحب لونها .
ولكن الأمل في لقاء ابنها . جعل لعينها بريقاً غريباً من الحياة . وكأن قوة غير عادية .

دبت فيها وهي تنتظره . ثم وهي تضمه . ثم وهي تبكي !
وأما غرفته في السطح فلم يجد عليها شيء . ولكن حين فتحها هب منها عبق
الذكرى . والقسم الذاهب . والمدينة السحرية

في صباح اليوم التالي اخذ يبحث ويسأل عن منزل شكري بك الجديد . فلم يهتد
وذهب الى بوستة الفجالة . وكان قد ارسل خطابا اليها كعادته قديما . فلم يأت احد
لاستلامه . ولم يعلم من أمرهم غير ان الفاقة الحت عليهم . وهنا انقطع خيط البحث
وذات صباح كان بمديرية الجزيرة لامر يخصه . فمر بمديقة الحيوانات وخطر له
أن يدخل .

جلس على مقعد تجاه القروء ، خلف شجرة متوارية بعض الشيء . فمرت سيدة
بادنة « بملاية لف » ومعها طفلان وخلفهم رجل ، وكان الرجل ضخما طويلا ، وله
سوالف كريمة وفي فمه لبانة .

فدعر وأحس بيد تقبض على حلقة وتنشب اظافرها فيه ، وهم أن يصيح ! فلم
يستطع واراد ان يقوم فلم يقدر ، سنية الجميلة الرشيقة تلبس «ملاية لف» وتصبح بادنة،
ويصير وجهها عاديا خشناً ، وتزوج بمن ، بالشخص البغيض الكريه ، الذي خسف
أنفه بالكرسی من اجلها

هم ان يقوم ثانيا ، وان يحتج ، فوقف بينه وبينهم شبح ، وصرخ في وجهه . قف
فانا الذي اذلت هذه المرأة . وما زلت اطحنها . وأمشى بها من حاجة الى حاجة
حتى تزوجت غريمك والخطابات أمها خدعتك لصالحك الا تعرفني
فصاح أمين . اجل أعرفك أيها الفقر . وهذه آثار اظافرك في عنقي
وظاطأ رأسه وقد غفر للحببية المسكينة بينما الموكب العائلي يسير ثم ثارت عاصفة
من الغبار حجبت عن عينه الى الأبد مدينة الأحلام

ولن الايب

ولن الأديب

محاضرة للدكتور ابراهيم ناجي في جمعية الشبان المسيحية

أحدثكم الليلة عن ولن الأديب ، أي أحدثكم عن عقل جبار ممتاز قليل النظير في تاريخ العقول الانسانية ! أحدثكم عن عقل أحاط بالماضي والحاضر وتغلغل في أعماق المستقبل . أحدثكم عن ذهن عجيب أوكد لكم أي لو أردت أن ألخص بعض ما أنتجه لما كفتني عشرات المحاضرات . واني لحائر حقاً الليلة في أي النواحي أتكلم ؟ أي القصة وهو فيها قد أتى بالعجب العجاب ؟ أم في التاريخ والطريقة التي ابتدعها في كتابته ، وهو أول من تكلم في العالم كسرة واحدة . . . لا كأهم منفصلة وطوائف مستقلة ! أم في علم الحياة ، وقد اشترك مع العالم الشهير جوليان هكسلي حفيد هكسلي الكبير ، في اخراج كتاب يعد من المراجع الشاملة الخالدة ؟ أم أتناول آراءه في علم الاجتماع وهو ميدانه الذي لا يجاريه فيه كاتب ولا عالم

ان ولن الأديب هو الذي يمثل الانسان والانسانية معاً بكل ما في الكلمتين من معنى . يمثل الانسان لأن التعريف الكامل للانسان هو أنه مخلوق يتميز بدمان النظر في الحاضر والماضي والمستقبل ، وهو يمثل الانسانية لأنه وقف حياته على الدعوة للأخاء العام ، في خلق أسرة واحدة من أسر متنازعة متطاحنة تخيّم على أفاقها دائماً أشباح الحروب والويلات

﴿ ميلاده ﴾ ولد وِلز في مقاطعة كنت بإنجلترا سنة ١٨٦٦ فهو إذن قد قارب السبعين ، ولكنه عُمر حافل بكل ما هو جليل وعظيم . هو الآن في الشيخوخة ولكنه لا يزال في عزم الشباب الحار المتوثب . فقد أخرج أخيراً كتاباً ضخماً تناول فيه الكلام في سعادة العالم وهنائه وثروته ولم يكده يظهر حتى نشر رواية جديدة Bulpington of Blup حصل وِلز على شهادة B. Sc في العلم في سن باكر . ثم اضطرتهُ أحوال الحياة ومطالبها القاسية أن يعمل في محل صانع أقمشة ثم صيدلياً ، ثم مدرساً حتى أصيب بنزيف رئويٍّ كاد يقضي على حياته ولكنه كان المنحة التي وجهت وِلز الى ما خلق له حقاً . فانه اضطر محافظة على صحته وحياته أن يشتغل بالتأليف والصحافة . وكثيراً ما كانت محن كهذه من البواعث على ظهور عظمة مستترة وموهبة خبيثة ، وما أكثر الكوارث التي كانت سبباً في ارتفاع الشخصية الكبيرة التي لاتهن ولا تراجع !

وجد وِلز نفسه مضطراً بحكم حالته الصحية أن يشتغل بالأدب . وهو يتميز عن كل معاصريه ويفوقهم — يتميز عن هاردي وكبلنج وشو ومع أنهم من ناحية الفن الأدبي البحت يتفوقون عليه — فان نظرتهُ الى الحياة أرحب وعقله يمتد إلى آفاق مترامية تكاد تصل إلى الغيب .

هو رجل يغوص في لج الحياة الى اعماق اعماقه ، يغوص حيث يقف الآخرون على الشاطئ ، . . هو ذكاء أكثر منه شخصية هو شبه نبي يحمل رسالة للعالم يشرع للناس ويبين لهم اخطاءهم ويشير عليهم كيف يتلافونها ، . . . ثم ينزل الى مستواهم ، فيجلس اليهم مسامراً منادماً كاحسن وأصفى ما يكون الندمان والخللان !

﴿ مميزات ادب وِلز ﴾ ما قيمة وِلز ؟ ولماذا هو خليق بالدرس وجدير بالتأمل ؟ ان اول ميزة له تضعهُ في القمة وتجعله نسيج وحده هي انه متصل اتصالاً وثيقاً

بالحياة الحقيقية ومندمج فيها اندماجاً تاماً ! وما هو الأدب ؟ الأدب انما هو تصوير للحياة وتسام بها ، وكل ادب يخرج عن هذه الدائرة فهو ادب مصطنع مزيف ، .
والميزة الثانية انه الاديب الذي يرمي الى غاية ، ويهتم بموضوعه ويفنى فيه ...
ومع ذلك لا ينسى الوسيلة ، اي لا ينسى ان يكون فناً يكتب بأسلوب الاعجاز
ويتخير لغة النجوم ! ولو انك جئت الى فنان كبروست أو كبلنغ وطلبت اليه ان
يكتب فيما يكتب فيه ولز ، في العمل والصناعة والتجارة والحوار الجمركية ، ...
وأن يؤلف قصصاً في مثل هاته النواحي ... والله لتعثر وظهرت فضيحته

فولز هو الأديب الوحيد الذي وسّع دائرة القصص ونوع الاغراض ، وتنقل في
شتى المواضيع ، وطرق ما لم يطرق من قبل ، فلم تعد القصة قاصرة على الحب ، بل
تعدت ذلك الى الموضوعات العلمية يبسطها بقلمه الجميل ويقربها بذهنه الذكي
ويبتدع فيها بخياله الوشّاب فيأتي بأغرب التخيلات ومنها كثير سبق فيه العلم
والاستنباط ، كل ذلك في جوّ سحري متصل باللانهاية

والواقع انك اذا طرحت من أدب ولز ثلاثة أرباع ما يتميز به من اتصاله الوثيق
بالحياة ، وما كتبه في العلم والاجتماع لبقى الربع الأخير كافياً لأن يعود على
عدة مؤلفين بالشهرة ويغمرهم غمراً . لقد وصف الحياة والحب والموت ورسم الجمال
والزهر بما لم يرسمه أحد . خذ مثلاً هذا الوصف البديع لحديقة يسمعك فيها لحن جوقة
من الأزهار

« لقد كانت الزهرات تتدفق وتتعانق كألحان الموسيقى العذبة . وترفع اليّ
عيوناً كعيون الأطفال ، وسرى إلى أذني غناء سحري من فم الزهر والأغصان
والأوراق وبقاة سمعت من أعماقها اغرودة طائر وخفق جناح مرتاع »
على ان القيمة الكبرى في أدب ولز هي رسالته للعالم . انه يريد أن يبلغك أمراً

ويحمل اليك نبأ ويهيمه أن تعي ذلك النبأ ، وتدركه وتتبصر فيه . فسوف يقرأ الناس
ولز في كل زمان ومكان ناظرين إلى المعنى الذي يريده والغرض الذي يرمي إليه ،
والصورة التي يرسمها فيبدع في رسمها وبهذا سيخلد ولز ويعيش أدبه على الأجيال
بينما يموت أدب بعض الآخرين ويبلى . أدبه هو صورة واضحة جلية بارزة ، وأدب
الآخرين اطار بديع الصنع مزركش منمّق أما الصورة فغامضة قلقة مهمة وسهل
جداً على الزمن أن يحوها

على أن ولز فوق كل ذلك بعيد النظر الى المستقبل . فهو اختصاصي في التنبؤ بما
سيكون ومن قرأ كتبه التي كتبها قبل الحرب يعجب جد العجب لانه وصف
ماسيحدث وصفاً جليلاً دقيقاً وهكذا يصيح كلما صحت نبوءته ألم « أقل لكم » . ولقد
بلغ من صدقه ان اقترح بعض الظرفاء على الحكومة أن تعينه متنبئ العرش ! مادامت
تعين شاعر العرش Poet Laureate

على انه شخصياً يجب أن يذكره الناس كرجل توفر على درس الماضي . انه أعطى
للتاريخ معنى غير ما كان له فهو الذي تكلم عن العالم كأسرة واحدة ، وهذه الوحدة
هي أمنيته التي يريد أن تتحقق اليوم ! يريد أن يمحو الفوارق والأجناس ، ويمزق
العصبيات ، ويقسم ان هذا هو الطريق الوحيد الى السلام !
على أن صدق حدسه عن المستقبل مبني على الفهم النادر للواقع ، حتى خاطبه أحد
أدباء فرنسا قائلاً :

« ان الذين يعرفونك يدعونك رجل أحلام . ليسوا بمخطئين . فأناك تحلم بسرعة
ولكنك تفكر بشكل مخيف : فأناك تفهم كل شيء دفعة واحدة وأحاديثك السريعة
المطبوعة بطابع العبقريّة هي أضواء تخطف الأبصار ولكنك تخطف الأبصار بالفكر
وهذا ما لم يتم لأحد سواك . أي كاتب وأديب كنت تغدو لو كنت أقل أفكاراً
وذكاءً وعلماً ! »

لقد صار في زماننا من السهل اطلاق كلمة العبقريّة على أي رجل يجيد الكتابة ولا يعني بملبسه ونظام حياته . فهذا الرجل الذي يدع في وصف النساء والحرب والمدن والقسس وأهل الصين ورجال المصانع والمعامل والحيوانية ، والذي يرى ما في سهول أميركا وحقول أوروبا ، ويرى ما تتجه اليه الانسانية ، وما يتدفق نحوه تيارها — الرجل الذي يكتب في كل هذا ماذا نسميه !؟

بعد هذه الالمّة التي أقدم بها الأديب ولز اليكم ، أجدكم في شوق لأن تعرفوا موجزاً عن آرائه وتحيطوا ببعض من قصصه . فأبدأ برأيه في حاضر الانسان ومستقبله ، ثم في العالم وحاضره ومستقبله ، ثم نختتم المحاضرة بموجز لبعض قصصه الرائعة

﴿ اهتمام ولز بالفرد ﴾ ان ولز يهتم بالفرد كما يهتم بالمجموع ، ولفرط ما انتقد ومحص وغربل دعاه بعضهم متشاعماً ، ولكنه ردّ عليهم ردّاً بليغاً في كتابه « اتجاه العالم » Where the World is Going تناول فيه مستقبل الفرد وبنى ملاحظاته على قواعد علمية ثابتة . وخلص منها الى ان حياة الفرد اليوم — مع الضيق الشامل والازمات المتعاقبة — اسعد منها في اي عصر من العصور الماضية . وييسن ان الانسان يتطور تطوراً بيولوجياً في السنين الاخيرة غير ملحوظٍ للذين لا يدققون ولا يبحثون . للذين يعتقدون ان الطبيعة الانسانية ثابتة على ممر العصور ! وندد بالذين يدعون الانسان للرجوع الى الوراء ، الى حضن الطبيعة ، الى ثدي الام الطبيعي ! اما من جهة التطور البيولوجي في الفرد ، فنقرر اولاً ان الاحصائيات الجديدة في العالم التمدن دلّت على ان طول الحياة الانسانية في ربع القرن الأخير قد زاد نحو اثني عشر عاماً في المتوسط ولا يهمننا من هذا أن تطول الحياة الى السادسة والخمسين بعد ان كان المتوسط يقف عند ٤٤ وانما يهمننا ان الطفل يمكنه أن يعيش أربعة أعوام مقابل كل ثلاثة كان يعيشها في

الماضي ، وإذن يمكن للطفل في البيئات المتمدنة في المستقبل أن يبلغ المراهقة بسلام ، ولنتذكر ان احصائيات المواليد هي خمسون لكل الف ، وان ٣٠ من هؤلاء الخمسين يموتون في سن الطفولة أو المراهقة . والنقطة الثانية في التطور البيولوجي ان الحياة الانسانية كانت قديماً حياةً جنسية تناسلية محضة . لم يكن امام الرجل غير ان ينشئ عائلة وينجب نسلًا . لم يكن امامه غير ان ينشئ العائلة ويشقى لها ويحمل اعباءها ، يفرح بالمولود ، ويبكى على الميت ويدفنه ، ثم يبدأ من جديد . تلك حياة الهمة الخصبه الانتاج . ولكن التناسل اليوم ليس الكل في الكل ، بل تسمعون صيحة تدوي في كل أرجاء العالم ، تحض على تحديد النسل . وحين يتكلم ولز عن السلام في العالم ، فيدعو الى محو الفوارق . والاجناس ، وتغيير الحكومات ، يعود الى موضوع تحديد النسل ، ويؤكد أنه لا سلام للعالم بغير العناية بهذه المسألة الخطيرة

لم تعد العائلة هي الكل في الكل ، بل أصبحت دوراً خاصاً في دائرة أوسع ، تتخطاها الحياة الانسانية وتتجاوزها . لقد كان الرجل يبكر في تكوين العائلة ، وينهكه القيام بكل ما تقتضيه ثم يهدم ويعطب بسرعة . تسقط اسنانه ويكلّ بصره ويندوي ويمضي الى القبر . تلك كانت القصة كلها . أما اليوم فماذا نرى ؟ نحن في حال جديدة . الرجل لا يبكر الى الزواج كما كان يصنع قبلاً ، وفي حياته أمور غير الأمور الجنسية والرغبة الجامحة . واذا بلغ المشيب استعان بالطب والأطباء على الضعف والخور

والواقع ان هؤلاء امكنهم بكل يقين ان يعينوه على ان يكون في مشييه في حالة لا بأس بها من النشاط والصحة ، واذن فالذي هو حادث والذي ينتظر ان يكون في المستقبل انه بدلاً من ان يبدأ الرجل في تكوين العائلة وحمل مسؤولياتها والقيام عليها وهو في سن غض ، ثم يدبل في سن مبكر بعد أن تنتهك قواه وتتحطم من دون أن يجد حيلة في الهدم وعجز المشيب ستكون الحال أن يأخذ الرجل - وقد أخذ فعلاً -

في تكوين العائلة في سن مناسب ، ولن يحصر قواه التناسلية في الانجاب ، واذ اشاخ
وجد من أطباء الأسنان والعيون ، والأطباء الذين همهم إعادة النشاط والشباب
بواسطة العلاج بالغدد ، سيجد من كل هؤلاء من يصد عنه العطب السريع والذبول
المهدد ، ••• اذن فنحن سنترك حياةً منهوكة بها شبه حمى الى حياةٍ أكثر استقراراً
وأوفر نضجاً ، الى عمرٍ أطول وأشدّ حيوية ونشاطاً

هذا فيما يختص بالتطور البيولوجي للفرد ، اما فيما يختص بسعادة الفرد فان وئز
أشدّ تفاعلاً . نعم ان الفرد اليوم أسعد منه في أي وقت آخر ، من بدء حياة الانسان
على الأرض الى يومنا هذا . هو أسعد رغم كل القوي التي تعترضه هنا وهناك وتغوق
تطوره ، وهذه القوي موجودة حقاً ، وكثيرة . يقول المشائمون اننا شذنا عن حضن
الام الطبيعة فعوقبنا ولقينا جزاءنا ، وهو قول منقوض من أساسه ! الام الطبيعة
تحمون بها حينما تفرجون على الشلال العظيم والجبل النيف والصخر الأشم ! تفرحون
بها وتخيّلونها في الربيع الزاهر والنجم المتألق والقبة الساحرة ، ولكن تعالوا اليها
حيث تتجمع المخلوقات ، تعالوا اليها في الغابة ، هي قسوة وفوضى . هي طراد وشهوة
هي جوع وخوف . هي كمين وشرك . هي كلمة القتل تهمس في الأدواح . وتنتقل
مع العاصفة ، وتتردد في الأدغال ، ان هنا ما يتمتع به الحيوان هو ضعف الذاكرة
وقصر البصر ، واهنا ما يسيطر عليه الغريزة الجنسية ، وما الغريزة الجنسية غير عذاب
وقلق . غير لذة مخيمة يختلط بها خوف ويظللها كغمام قاتم

هذه هي الحياة في الطبيعة ، عمل مفكك غامض حتى جاء الانسان فوصله وجمعه
واحكم نسجه

ثم ان أولئك الذين ينادون بالرجوع الى الطبيعة بغية الصحة ، يحسبون ان الحيوان
معافى من العلل . ولو أنهم قرأوا التاريخ الطبيعي لعلموا أن الأمراض جميعها كانت

متفشية تفسياً مريعاً . فان صيادي الفيلة يقتفونها بواسطة الأصوات التي تحدثها
امعاؤها من كثرة الغازات ، وحياة البر ليست الا سلسلة من جوع فظيع الى شعب
بلا راحة ، وهل كان الانسان الأول غير مخلوقٍ شبيه بهؤلاء ! مخلوق يتحكم فيه الجوع
والخوف والغريزة العشيمة ... والذين يقرأون عن التطور يعلمون أن أغلب العظام
التي تركها الانسان الأول هي عظام مريضة

والواقع أنك لا يمكنك أن تضع أصبعك على أي عصر من عصور التاريخ مها
كان زاهياً جليلاً لتقول ان الفرد هنا كان اسعد من الفرد في عصره هذا ، حتى
الكتاب الى عهد قريب ما كان يعينهم الفرد وقليل جدا منهم من عني بوصف حياته
اليومية ... والذي اهتم بتصوير عيشة الفرد رسمه منغمساً في الجهل والمرض والظلمات
وفي ازهى عصور التاريخ — سواء عهد الرومان أو المصريين — كان الفرد
مسخرًا • وما الاهرام ، وما المشيّدات الرومانية الفخمة الا بيد الفرد المستعبد
المسكين المرهق

على انه في منتصف القرن التاسع عشر فقط ، وعلى أثر المخترعات العلمية ، وعلى
اثر التطور والتقدم الحديث في المعرفة ، اخذ يطلع على العالم فجر جديد ، فجر يبشر
بزوال تسخير الفرد وارهاقه . فأخذ يعرف طعم الراحة ، وزال الرق وتحسنت الصحة
العامة وقلت الوفيات

وعلى رغم العوائق التي تترض تقدم الانسانية كالكتلة التي سنبينها
فيما بعد ، على الرغم من كل هذا فان الفرد ارغد حالاً ، وسيطرد الرحاء والرغد في
المستقبل . ثم يصيح ولز : اذن فاعلموا اني متفائل ، أرى الفجر يقترب وارى البشائر
في حواشي الافق !

﴿ ولز والعالم ﴾ علمتم رأي ولز في مستقبل الفرد ، وقد تبين لكم عمق بصره
وحدة ذكائه

أما في ما يختص بأرائه في العالم فهي اعظم شأنًا وأكثر جدة وطرافة ، ومنها
تبيينون أموراً لفسها المظلون في اثواب من الزور ، وطلوها بطلاء كاذب ، فاذا اردتم
ان تماشوا العصر وتقفوا على دخائله ، اذا اردتم ان تعلموا شيئاً عن حكومات العصر ،
وعيوبه ومن أين نشأت . . . وعن النظام المالي ، وعن شبح الحروب المهددة للعالم ،
اذا اردتم ان تعرفوا ذلك بوضوح فعليكم بوز . وقد قال احد كبار ادبائنا انه لم يفهم
الاشتراكية الا بعد ان قرأ كتاب ويز «عوامل جديدة محل عوامل قديمة»
New Worlds for Old . وقد اجتهدت ان اغترف لكم من البحر الزاخر الغني
بالدرر فعذراً اذا قصرت فقد اخذت على عاتقي مهمة تنوء بها المهمم

نحن في عصر الديمقراطية • والديمقراطية متأصلة في نفس الانسان من اول
نشوئه ، ولكنها لم تأخذ في سبيل التحقيق الا في القرن السادس عشر • في ذلك
العهد بذرت بذورها ، وفي العصور التالية نبتت ونمت ، وفي عصرنا ازدهرت ،
وليست فكرة الديمقراطية فكرة سياسية فقط بل هي تتناول الأدب والفن والموسيقى
ماذا نعى بالديمقراطية ؟ الواقع ان اغلب الناس حتى المفكرين منهم يلتبس عليهم
ادراك معناها الحقيقي ، وكيف هبطت الينا ، ومكانتها اليوم • ان الديمقراطية ترمي
الى غايتين

(١) كل الناس متساوون تحت عرش الله

(٢) كل الناس متساوون في نظر القانون

ومعنى هذين بكل وضوح انهيار النظم البالية المتحكمة ، وتحدي الاستئثار
والسلطة ، ومعنى هذين أيضاً انفصال الفرد عن كتلة المجموع ، وتحرره منها وشعوره
بذاتيته ، والاعتزاز بنفسه كشخص حر له ان يحب مايشاء ويصنع مايشاء
اما في السياسة فتعلمون ان الحكم اصبح دستورياً ، معتمد على اصوات الافراد الانتخابية

أما في الأدب فبعد ان كانت الرواية تعنى بالمجموع ، وتتكلم عن الملوك والامراء والابطال والديانات وما الى ذلك ، اصبحت تعنى بخلق الفرد وحياته وتحل ميوله واهواءه ومعيشته . ولا شك ان اكثر كم قرأ رواية « دون كيشوت » الشهيرة ففيها بوادر السخرية بالاستقراطية والتمرد عليها ، وان في انتصار الطاحونة ، التي هي ملك للعامل البسيط ، على البطل المدرع ، لرمزاً جديراً بالتبصر . وخذوا مثلاً روايات الادباء جبابرة القرن التاسع عشر كزولا وبلزاك ودكنز وترجينيف تجدونهم يصورون العالم كسوق كبير فيه الراح والغادي كل يعمل لحاجته ، حراً منفصلاً وهو مع ذلك متصل بالانسانية الكبيرة اتصالاً لا يغير شخصيته ولا يحوها

وكذلك في الفنون : فقد كان الفن يعنى بتنسيق عمارة ضخمة ، أو النقش في هيكل ديني او خدمة نزع سياسية ، وكانت الموسيقى مقتصرة على ألحان دينية ، او ألحان تطرب الملوك وتستثير همم ابطالهم وجنودهم في ميادين الحرب والقتال . لقد تغير كل ذلك واصبح كل فنان يعمل كما يهوى ... حراً طليقاً كالطائر الباسط جناحيه حيث تستهويه اجواز الفضاء !

إذن ... فان الديمقراطية هي انفصال . هي تجزء ، هي انطلاق ذرات كانت ثابتة في هيكل السياسة والآداب والفنون . . . ويجوز لنا اذن ان نسميها الديمقراطية التحليلية . . . ومن المتناقضات العجيبة ان يقابلها في نواح اخرى نظام تركيبي ، وبخاصة في العلوم . فلقد كانت الحقائق العلمية منفصلة لاتضام بينها فأصبحت هذه الحقائق خاضعة لتجارب تحققها وتنظم عقدها حبة حبة

قلنا ان الفرد قد انفصل عن كتلة المجموع واصبح معتزلاً بنفسه ، نائراً على التقاليد القديمة فماذا جرّ عليه اعتداده بنفسه ؟ جرّ عليه امرين ، الامر الاول نضاله في حدود بلاده ضد ما بقي فيها من آثار التحكم والقوة ، ونضال خارج بلاده معتزلاً

بما يسميه بالعصبية القومية ، نفوراً بعلمه ، مدافعاً عن وطنه بلا حساب ... ولكن من العجيب انه وهو في هذا الانفصال والتحرر يتطلع الى المشروعات الاقتصادية المركبة الضخمة التي تحتاج الى جهود متجمعة اي ان الديمقراطية التحليلية تؤدي عن غير قصد الى نظام اقتصادي مركب ، ... وهنا يصطدم الفرد من جديد بالرؤوس التي تريد أن تزعم ، وتدير العمل وتحكم فيه ، ومن هنا نشأت فكرة الاشتراكية فما الاشتراكية معها تختلف الآراء فيها الا نظام يراد به بث الديمقراطية في النظام الاقتصادي ، كما بثت في النظام السياسي ، أو بعبارة أخرى أن ينقل الحكم في عالم الاقتصاد من رأس يتحكم فيها ويديرها إلى جماعات من نفس العمال ، أو من قوم ينتخبهم العمال . فالديمقراطية التحليلية أمر جميل جليل ولكنه يمتد ويتشعب في غير حدود ولا نظام . على أن شعور الفرد بنفسه وكرامته وقوميته في كل أمة جعل شبح الحرب قائماً ينذر ويهدد ، وان كل فرد في سبيل الغامرة المالية لنفسه جعل النظام المالي مضطرباً قلقاً والاصطدام بين العمال وأصحاب رؤوس الأموال ، جعل النظام الاقتصادي متداعياً على وشك الانهيار ، وتلك هي المشاكل الثلاثة التي تواجه العالم الآن . وهي كما تبين لكم أيها السادة منشؤها ديمقراطية تحليلية ، تتشعب وتمتد وتطغى بلا حد ولا قوام

بعد هذا التفسير المنطقي المعقول للمشاكل الحاضرة نريد أن نسمع من ولز طريقته في العلاج . مادام قد شخص الداء ، يقول هذا الطبيب المشخص لعل العالم انسا لا يمكننا بالطبع بحال من الأحوال الرجوع الى الأساليب القديمة والنظم العتيقة ، ولكننا في حاجة إلى اصلاح هذه الديمقراطية التحليلية ، وايحاد ما يسمى بالديمقراطية التركيبية Synthetic Democracy

ان الحكومات الحاضرة في نظر ولز غير صالحة ، ان الزعماء الذين يصلون الى

منصات الحكم معتمدين على صوت الفرد ، جلّ همهم أن يرضوه ، وأن يصلوا . . .
وهم لا يصنعون شيئاً يبعثون به سلام العالم ، انما هم يجتمعون ويتكلمون ويؤدبون المآدب
ولا يقومون بعمل جدي . فولز غاضب على الساسة ، غاضب حتى على امته ، غاضب
على الاستعمار ، يود أن يفتح عينه ويغمضها فيرى مقاعد الحكم قد خلت من هؤلاء ،
وجلس عليها قوم ينظرون بعينهم لا الى أمتهم فقط بل الى العالم كاسرة ، ولا يتعصبون
لمواطنيهم وذوي رحمهم بل يتعصبون للأخاء العام ويعملون لمحو الفوارق وهدم
الحواجز الكاذبة التي تفصل بين أمة وأخرى وبين شعب وآخر

يريد أن يرى في كراسي الحكم قوماً متطوعين ، مستعدين لأن يموتوا في سبيل
اغراضهم وما اغراضهم هذه غير ان تنتهي الحروب ، وتخلق وحدة اقتصادية كبرى
تشمل الدنيا ، ووحدة مالية تحفظ العالم من الخراب والدمار ! هذا ما يقصد ولز
بالديمقراطية التركيبية ، في كتابه يوتوبيا الجديدة ؛ التي يتخيل فيها المدينة الكاملة
والحكومة المثالية . . . يريد تعاضداً وتسانداً في الحكم والاقتصاد والمال . . . ويقول
انه ليس يحلم وانه يرى في الأفق طلائع مقبلة تميزها وتؤكد وجودها وان حجتها عنا
الغبار الذي تثيره مواكبها

* * *

هذه بعض آراء ولز وتنبؤاته ألا تجدونه جديراً بالاجلال ، جديراً بأن تقرأوه
وتلتفتوا اليه ؟

﴿ ولز القصصي ﴾ الأديب ولز قاص بارع ، كتب في جميع الأغراض وتناول
كل الشؤون ، وجود في القصة القصيرة كما أبدع في القصة الطويلة ، وكل قصصه جيد
وممتع ، بحيث يحار الانسان ماذا يلخص وماذا يدع ! وقد أجمع النقاد على أن أحسن
قصصه القصيرة هي قصة « صانع المعجزات » وقد انتخبها هو بنفسه عندما دعي لأن

يختار أحسن قصصه ، ولكني وجدت قصة « قلب المس وينشليزيا » أجمل وأظرف
وسأبدأ بتلخيصها لكم ...

المس وينشليزيا فتاة جميلة راقية تدرس في إحدى الجامعات اصطحبت صديقتين
لها في سياحة الى روما . ويفهم من سياق القصة ان الفتاة تفوق صديقتها جمالاً وثقافةً
ومالاً وجاهاً . يقطن الطريق في دعابات وحوار ، فكلماً رأين شيئاً ضحككن وسخرن
في مرح وجدل . الى أن وقف القطار ساعة في محطة من المحطات فصاح صائح يدعو
شخصاً لم يرينه باسم غريب ضحككن له واستغرقن في الضحك: هذا الاسم بالانجليزية
هو Snooks يقابله عندنا جُعْلص مثلاً فتضاحككن وتخيلت كل واحدة انها حبيبة
أو زوجة لشخص يدعى بهذا الاسم وكلما افتكرن في هذا أغرقن في الضحك . حتى
بلغن روما . فصرن يتنقلن بين آثارها وهياكلها العظيمة ، ففي اثناء طوافهن تعرفن
الى شاب مثقف جميل وسيم صار يطلعهن على ما لا يعرفن ثم ينصرف في أدب ووقار
تام . وصار الحظ يجمعهن به مراراً فتعلقت به وينشليزيا ، ورأت انه يبادلها عطفها ...
حتى خلت به مرة وأخذنا يستعدان لحديث اعمق ، ويهمان بان يبوحا بأسرار دفينه ،
فاذا بصاحب له يناديه عن بعد « انت هنا يا جُعْلص » فبهتت الفتاة ... وكانما
اسدل بينها وبينه حجاب كثيف وتسكرت له من ذلك الوقت ، تنكرت لاسمه
الذي لم يعجبها ... ولكنها راحت تفشى سرها لاحدى صديقتها : وتقول لها اذا
عدنا الى وطننا فاتصلي انت به واكتبي الى ... وفي انكلترا تتصل به « فاني » ..
و « فاني » هذه فتاة ضخمة لا تصلح لغير الطبخ والسكى ، اي لا تصلح لفتى مثقف
مهذب جميل .

المهم انها اتصلت بصاحبنا ... ولكنها لم تكتب الى صديقتها عنه غير كلمات
قليلة لا تشفي غليلاً ... الى ان ارسلت اليها خطاباً ذات يوم تخبرها فيه انها تزوجت

« جُعَلص » ... وعقبت انه مرضاة لخاطرها قد غير اسمه ... فانهارت آمال وينشزيا أولاً لأن صديقتها خاتها ، وثانياً لأن العقبة التي تخيلها كبيرة : عقبة الاسم كانت غاية في البساطة ، وثالثاً لأن فاني هي الوحيدة التي لاتصلح زوجة لذلك الرجل على انها تعللت بالمحال ، وتوقعت أن يحصل بينهما خلاف ، فلم يحدث ، فزارتهما في منزلهما فرأت مازادها حسرة وألماً . وجدت الحبيب المثقف الرقيق قد سمن واستكرش ، كلمته في الأدب فلم يذكر حرفاً ، وفي الفن فلم يفتح فمه ، فحادثته في الأكل فاندفع كالسيل !...

صانع المعجزات كان المستر فوذرنجاي حتى الثلاثين من عمره من لا يؤمنون بالمعجزات . وهو صغير الجسم شديد سواد العينين يشتغل كاتباً في احد مصانع الدراجات

فذات ليلة اجتمع بصاحب له في بار لوج دراجون وما لبثت المناقشة ان دارت بين الصديقين حول امكان حدوث المعجزات او استحالتها ، فصاحبنا فوذرنجاي متعنت لا يقبل ان يستمع الي مثل هذه الخرافات ، وصاحبه شديد الايمان بها . وثار المناقشة حتى صاح فوذرنجاي مشيراً الى المصباح الكهربائي الذي ينير الحانة : أتظنني لو حصرت ارادتي وأشرت الى المصباح بقوة الارادة وأمرته قائلاً « انقلب ايها المصباح رأساً على عقب على أن تظل مضيئاً » أتتحقق مثل هذه المعجزة . فلم يكذب ينتهي من قوله حتى انفصل سلك المصباح المعلق من مكانه في السقف . وانقلب كما أمره . أما هو فوقف بهتاً . واختبأت فتاة الحانة مرعوبة . وفر بعض الزبائن ولم يطل هذا المنظر غير ثوان صاح بعدها فوذرنجاي « النجدة النجدة ! ان قواي لاتستطيع ان توقف المصباح على هذه الحال طويلاً ! اني اشعر بالعجز » . فما لبث المصباح ان وقع محطاً وساد السكك ظلام دامس ! واخذ الجلوس يلومونه لوماً شديداً على جنونه هذا

واقترحوا عليه أن يسرع بالانصراف ففعل ! ووصل إلى حيث يسكن مفكراً مهموماً لا يصدق ما حدث . فارتدى على فراشه بملابسه يفكر . وخطر له من جديد أن يجرب قوته الخارقة في الشمعة المضاءة . فحصر ارادته وقال لها ارتفعي من مكانك وانقلبي وظلي مضيئة ... فكان في الحال ما أراد . ثم أمرها بالنزول فسقطت مشعلة وأحترقت الغطاء . . .

فعرف ان الله جباه قوة غير عادية ... وأخذ يجرب من جديد . طلب أن يهبط عليه عود ثقاب . فرأى بصيصاً من الضوء وعود ثقاب يقع في قبضة يده . وشعر بالظلم فأمر بورقة أن تصير كأس ماء ، فكان له ما أراد ، ثم خلق على هذه الطريقة مشطاً ثم فرشاة أسنان ...

وأراد أن ينام من دون أن ينفق جهداً ، فأمر ملابسه بترك بدنه ، وبجذائنه نخلع وأمر لنفسه بقميص من الحرير ثم أمر نفسه بالنوم العميق والاستيقاظ في ساعة حددها وذهب إلى عمله في اليوم التالي مضطرباً كمن يكتفم سراً ويحمل أمراً عظيماً ، وانصرف في المساء ، ومشى في شارع قليل الضوء مفكراً يضرب بعصاه الأرض فخطر له فجأة أن يصنع معها ماصع موسى بعصاته ... ان يقلبها حية تسعى . ولكنه خشى العاقبة . فأمرها أن تستحيل « زهرية » فاستحالت ، وان تعود عصا كما كانت فلم ترفض له طلباً ، غير انه مالبث ان سمع ضجة ورجلاً من المارة يتقدم اليه في الظلام سائلاً لأن العصا في حركتها أصابت ذقنه فأدمتها ... وجاء على الضجة الكونستابل رونش ولامه كثيراً على اعماله الجنونية وذكره بفصل الحانة ليلة امس ، وانه كان حاضراً كل شيء . وما زال يسبه حتى ضاق به صاحبنا ذرعاً فصاح به « أذهب الى جهنم » Go to Hell . فلم يعد هناك كونستابل ما . ذهب رونش ، راح حقيقة الى جهنم ! فآزرعج فوذرنجاي وابنه ضميره على ارسال

الكونستابل الى جهنم ، و شاء تخفيف العقاب عنه فامر به بالذهاب الى سان فرنسيسكو
وذهب في اليوم التالي الى الكنيسة ، وخطر له ان يخبر راعي الكنيسة بما وهبه
الله ، فانتظر حتى انتهت الصلاة ، وزاره في بيته ، وياح له بكل شيء ، و اسر اليه ندمه
على ما فعله بالكونستابل رونش ، وانه بعد ان نقله من الجحيم الى سان فرنسيسكو
لا يزال ضميره يؤنبه اذ ماذا يصنع الكونستابل المسكين في ذلك البلد النائي السحيق .
فطأ نه القسيس واخبره ان الله اختاره والله يختار ما يشاء ، وطلب اليه ان يعرض
« العابه » . فنظر صاحبنا الى علبة التبغ قائلاً كوني وعاءً مملوءاً بزهر البنفسج
قكانت ، ثم قال كوني صحن سمك فكانت ، .. وهكذا . فطرب القسيس وآمن ،
ودعا له للعشاء معه .. فشكا القسيس اليه كسل الخادمة ، فقال فورزنجاي انك ستري
عجباً . وامرهما امرأ خفيا ان تقلع عن الكسل ، فسمعوا في الحال صوت الاطباق
والملاعق وحركة جيئة وذهاب ونشاطاً غير معتاد ، . . . لقد استيقظت الخادمة من
نومها العميق ، وهي تهيء لهم العشاء في اهتمام لم يره القسيس ولا أحد من قبل

وطاب للقسيس ان يستغل هذه القوة الخارقة في اصلاح الناس ، فكان يدور
بصانع المعجزات في الحانات وبؤر الفساد . فاستحالت الخمر ماء ، وانمحت الجرائم ،
وصلح الاشرار ، وكثر الابرار

و ذات ليلة سهر فورزنجاي مع القسيس حتى الساعة الثالثة صباحاً ، فخطر للقسيس
ان يجرب صاحبه من جديد فاشار اليه ان يأمر الزمن بالوقوف والارض بان لا تدور
فوقف واستجمع كل عزمه وصاح « أيتها الارض قفي عن الدوران » . فوقفت
الارض كلها ووجد الرجل نفسه يطير في الفضاء بسرعة مليونين ميل في الثانية . . .
فحاول ان يستجمع قواه ويأمره بالعودة فخأنته قوته . فشجذ عزمه وامر الكرة
الارضية ان تعود الى الدوران وان يعود هو الى الأرض سالماً

فدارت الكرة الارضية ، وعاد هو سالماً ، ولكن ماذا وجد ! وجد الزلازل في كل مكان ، والاعاصير تهب والمباني تتطاير والماء يتدفق ... فجمع ارادته وقال « يا الله ! يايتها القوة العظيمة ... يا جميع القوى السماوية والعلمية اعيدي الحال الي ما كانت عليه .. وخذي مني قوتي الخارقة مقابل ذلك . اعيدني عاجزاً وانقذي العالم » . فلم تتم صحته حتى وجد نفسه جالساً في الحان والكأس العاشرة في يده ... يناقش صاحبه في أمر المعجزات وينكر وجودها بتاتاً ... ويصيح كلاماً . انها كلام فارغ ... لا يوجد معجزات

﴿ القصة الطويلة ﴾ أشهر قصص ولز الطويلة هي تونو بنجاي وكيس واستيقاظ النائم وعالم وليم كليسولد ومكيا في الحديد . ولكنني أختار قصته تونو بنجاي لانها شبيهة كل الشبه بما يحدث في مصر ... مصر التي يكثر فيها العنبول والكالفلويد ويثري فيها ثراءً فاحشاً أصحاب هذه العقاقير . وبينما يحوع أصحاب الضمائر ، يتمتع الدجالون بالرخاء واليسر ويمرحون في أثواب النعمة

تونو بنجاي Tono Bungay اسم دواء اخترعه الصيدلي الحقير السمين بونديفو . رن في أذنه فجأة ... فهمس به في أذن مساعده وابن خاله جورج . وصاح ألا تجده كصوت القنبلة هذا هو تركيبه يا جورج . انه مقو للأعصاب . وهذه صورة الاعلان وسوف ننق على الاذاعة عنه المال الذي يخصك من أيبك . لا تحتاج بالضمير يا جورج ودعك من السفساف ودعني أعمل

وبعد ان كان دواءً مقويًا تفرع منه مسحوق للاسنان ، وآخر مانع لسقوط الشعر وقطرة ، وصابون ... وكذلك تدريجاً اختفت العناصر التي تكونه ... ومع ذلك سار مسير البرق وانها المال ... وصار العم يزداد وجاهة وايماناً بكائه وازداد كرشه الضخم تطلباً وتكوراً وصار لفته شكل أفواه العطاء ، اذا صح قول غالزوردي ان

أعيننا هي ما نحن أما العم فهو مانصير اليه . وتعددت المشاريع وكبرت الشركة ...
واتسع العمل على لاشيء

وأخذ العم بيتني قصراً ... وأخذ جورج يتجيب الى فتاة غنية تدعى بياتريس ،
ومن يقرأ قصة الحب بينها وبين حبيبها يؤمن بأن ولز عالم نفسي من الطراز الأول :
تقول له وقد خرجا إلى الغابة والمطر يسقط رذاذاً اني أحبك الآن لا لما فيك من مفاتن
بل أحبك بأجمعك ، أحب فيك غرورك وحمقك ، أحب قطرات المطر على معطفك .
ثم يوصلها إلى منزلها فتقول له تعال : ادخل اني أحبك الآن . ولكن الأبله يجيها
نعم ولكني مضطراً إلى الذهاب ... فتعلق الباب غاضبة وهي تقول « اذن فاذهب . »
وكل من قرأ علم النفس الخاص بالمرأة يعلم أن المرأة غير مستعدة لأن تهب
نفسها إلا في ساعة واحدة ترمي فيها بين ذراعي حبيبها وقد فقدت كل وعي .
وهذه الساعة يعرفها وينتظرها كل « دون جوان » خبير ، وتمر على الغر الأبله دون
أن يلحظها

قلنا ان الثروة انهمرت كالسيل ، واستعملت في المشاريع الجديدة ، أي في نصيب
جديد إلى أن حدث ذات يوم ان كان العم متعباً مريضاً وفي عينه أثر الدموع ، وعلى
وجهه ذلة ومسكنة . فسأله جورج عما به . فأجاب لقد ذهب كل شيء ... ان
الخراب والعار يهدداننا .. انهم يحققون معي ، ويحللون الأدوية ... ويسألونني عن
الترخيص ، وليس لدي ترخيص . ثم يبكي كما يبكي الطفل وهما أمام القصر الذي
يعلو ويتناول

يهربان في طيارة ويمرض العم وتشتد عليه الحال في باريس . وهنا فصل من أقوى
الفصول في الأدب على الاطلاق ، فبينما أنت تعرف ان الرجل نصاب فاذا بك تشفق
عليه وتجد الدمعة تترقق في عينيك ، وتؤمن بقوة ولز الأديب لانه يجعلك تشعر انك

لست أمام الرجل النصاب يحتضر ، بل أمام الانسان بكل ضعفه وعيوبه وعجزه أمام
المقادير والموت ، أمام الآمال التي تتجمع ثم تنهار ، وأمام العظمة التي تكاد تقبض
عليها فاذا هي تتوارى كالشبح ، وأخيراً أمام الماء الذي نمضي اليه ظامئين فاذا هو سراب
يلمع في الصحراء

وختاماً أوجه نظركم من جديد الى الأديب ولز فهو جدير حقاً بأن تنفقوا
في درسه أوقاتكم



الليل

قصة معربة

للكاتب الايطالي

لويجي بيرونيللو

الليل

اجتاز القطار محطة سالمونا فوجد « سلفسترو نولى ، نفسه منفردا فى مقصورة
قدرة بالدرجة الثانية . فنظر نظرة أخيرة إلى مصباح الزيت الذى يندى بالانطفاء كما
اهتزت عربات القطار . وكان قد تعب من السفر الشاق نهارا بليلة . وود لو ينجو من
الأم الذى تكاثر عليه اذ يدنو رويدا رويدا من منفاه !

أبدا ..! أبدا ..! أبدا ..! هكذا كانت تقول العجلات إذ تصطدم ويرن صوت
اصطدامها بانتظام . لا ! لن يعود أبدا ذلك العهد المرح ، عهد الشباب . لن تعود
ابدا اجتماعات الأصدقاء تحت أقواس « تورين » لن يعود أبدا ذلك الجو الدافئ ،
جو الصبا الناضر . لن يعود ذلك الحب المتوسل ، حب أمه ، ولا البسمة الحنوننة
تشع من عين أبيه : ولكن أمه ! أمه ! يافرط ما تغيرت فى سبع سنوات نأى طويلة
لقد تقوس ظهرها وذبلت وزهبت أسنانها . ولكن عينيها بقيتا على حالهما من
القداسة والسحر والجمال : يالها من لذة إذ يطيل النظر الى أبيه وأمّه ، وإذ ينتقل من
غرفة الى غرفة بالمنزل القديم . الحق أن الحياة بكل ما فيها من بهجة لم تذهب عنه
هو فقط ، بل ذهبت عنهما أيضاً . أخذها معه حين بارح المنزل ، ماذا صنع بها؟ وأين

ذهبت؟ لا! لقد تركها وراءه بالمنزل فلما عاد لم يجدها. نعم لم يجدها ولم يجد لها
عوضاً. وشعر في قلبه ببرودة الموت:

وعلى هذه الصورة كان عائداً إلى بلدة « سانت أنجلو » بعد أن انتهت الأجازة
التي اعطته اياها المدرسة التي كان يدرس الرسم بها سبع سنوات: شعر في تلك البلدة
بالوحدة والوحشة، فتزوج ليسد ذلك الفراغ، فقيده نفسه إلى الأبد بتلك البلدة الجافة،
وانتسب إلى الأبد إلى أهلها ذوى البلادة والخلق الضيق، والشح، والطمول. لقد
تزوج لينجو من الوحدة، فأذا به أكثر وحدة، وإذا به منفرد بأحاسسه وتفكيره
لا تشاطره فيها امرأته. وإذا الحياة التي كان يأملها ويتوقعها قد صارت في حيز الأحلام
وولد له طفل، فأذا به من يوم ميلاده غريب عنه بعيد الشبه، كأنما هو ابن زوجته
لا ابنه هو. وكم تمنى لو فارق ذلك المكان وقصد غيره، اذن ربما كان ابنه يصير
شبيهاً به، أو تصير زوجته صالحة للرفقه وإذن ربما كان يخلق منزلاً على هواه وعائلة
كما يشتهي، ولكن زوجته مع الأسف رفضت أن تنتقل حتى في شهر العسل،
وحين عرض عليها أن يزورا أباه وأمه أبت، وهكذا لصقت بأهلها لا تريد عنهم
رحيلاً!

و شاء القدر أن « يُسمّر » في ذلك المكان الموحش اللعين، وأن يتألم
حتى تعلوه قشرة من البلاهة والجمود! كم كان يحب الموسيقى والفنون والمسرح،
ولا يتكلم إلا عنها، ف شاء القدر أن يظل ظامئاً إليها، كما هو ظامئاً إلى الماء العذب
في هذه البلدة التي يسقون فيها الماء من آنية يخزنونه فيها! يأسوء هذا الماء الذي يشربه
سخيف الطعم بالصدأ الذي يعلوه، ولا يستطيع هضمه — أن كان هذا وهما
أو غير وهم فهو يعلم ان معدته تلفت إلى الأبد!

وتجمعت الدموع في عينه وانترع منديله يجفف دموعه وعرقه.

وأخيراً وقف القطار في محطة « كاستلامارا » وكان على المسافر أن ينتظر في هذه المحطة خمس ساعات ليصل إلى المحطة المجاورة في عشرين دقيقة !

وكانت المحطة كبيرة مضاءة طول الليل ، وكان الأناسن يأمل أن يخفف عن نفسه فيها مرارة الانتظار والضجر الذين يستوليان على المسافر بالليل . ولكن وجوه النساء والرجال كان يعلوها الغبار والشحوب ، وجوه القوم الذين انقطع ما بينهم وبين ماضيهم . وكان يبدو على أكثرهم القتام والملال ، فكأنما كانت قلوبهم تنقبض كلما رنت صفارة القطار وهو يجتاز السهول المظلمة ، ويندفع على القناطر ، ويقذف بنفسه في النفق ، أكان هؤلاء المسافرون يعتقدون أنه لا راحة للناس حتى في الليل ؟

شرب « نولى » فجاننا من القهوة بسرعة ، ثم قام من كرسيه ليخرج من الباب المقابل إلى الشارع الممتد إلى البحر ، المضاء بالمصابيح الكهربائية . لقد كان بحاجة لأن يفرج عن نفسه ويتنسم هواء البحر ... ولكن ناداه صوت فاجيء :

« أستاذ نولى ! »

والتفت الأستاذ مندهشا ، فإذا به يرى سيدة هزيلة جد الهزال ، ولها عينان حزينتان متناهيتان في السحر والفتنة ، في محاجر غائرة .

— أستاذ نولى !

— سيدتى ! آه ... « سنيورا رونكى ! »

نعم أعرفك بلا شك ، أعرفك ياسنيورا

ولكن ماذا جاء بك إلى هنا ؟

نعم ! هي زوجة زميل له في التدريس ، زميل مات قريبا وعرف خبر وفاته من الصحف ، مات ذلك المسكين بعد ما جاهد جهاداً مرّاً ليدخل المدارس العالية ، فما استقر قدمه بها حتى مات فجأة ! مات في شبابه ، وقال الناس ؟ لقد مات من فرط

غرامه بهذه الزوجه ، بهذه السيدة النحيلة التي كان يجرها وراءه جراً حينما ذهب .
لقد كان رجلاً ضخماً ذا لحية هائلة ، وكان عنيفاً حاراً ..!

نعم ! هذه هي زوجته ، وقد ضمت مندليها المطرز بالسواد إلى شفتيها ، وهي تنظر اليه بعينين جازعتين ، وتشير برأسها اشارة الفجعية . ورأى دمعين تنحدران على وجنتيها ، فعرض عليها أن تصاحبه إلى جهة البحر ليتكلمها بحرية أكثر . فما كادا يخطوان بضعة خطوات ، حتى أخذ جسمها النحيل يهتز اهتزازاً عصبياً من فرعها إلى قدميها ؛ وانتابتها نوبة سرت من كتفيها ، إلى ذراعيها ، إلى كفيها الذابلتين .

— « نولي » ! « نولي » ! ... إستمع إليّ . لقد تركني وحيدة لا صديق لي ، وحيدة بأولادي الثلاثة . لقد كان رجلاً عاتياً دمر نفسه ودمر صحتي وحياتي .. دمر كل شيء ..!

وأخذت تنتفض ، ثم استطردت : لقد انتزعتني من أهلي وقومي ، وكنت موضع حسدهم ، فكيف أعود الآن ؟ ألكي أعرض عليهم ما حل بي ؟ ماذا أصنع الآن ؟ إني عائدة اليوم من روما حيث ذهبت أطلب بالمال ، ولو لم أذهب ما أعطوني النقود القليلة التي استحقها جزاء تدريسه . لقد صرخت هناك وعلاصوتي بينهم حتى اعتقدوا أنني مجنونة ، ونصحوني بالهدوء . من يدري ؟ ربما كانوا على حق في ظنهم ... ان في قلبي ألماً يقرضه بأنيابه ، ألماً لا ينقطع .. وأشعر بشيء يحترق في داخلي ويشع لهبه في جسدي كله . وصاحت فجأة : ولكن أنت يانولي ! أنت لاتزال شاباً ..!

وبينما هي تسلك هذا المسلك في ذلك الطريق الموحش ، تحت ضوء المصابيح الخافتة ، أمسكته بعنف من ثوبه ، وارتمت بين ذراعيه وهي تسحق قبعتها في صدره وتدفن رأسها دفناً كأنما تريد أن تحترقه اختراقاً وتنفذ إلى صميمه ، وهي تتشنج وترفر زفرة بعد أخرى . . .!

فدهش الرجل وتراجع يريد أن يبعد عنها ، ولكنه كان يوقن أن هاته المرأة
في جنونها الحالي تصنع ما صنعته مع أي صديق تتوسم فيه الرحمة ، فأجاب قائلاً :
الشجاعة ياسيدي ! .. ثم قال مداعباً : لقد قلت اني شاب .. كلا ، فقد اكنهت ...
ثم انى متزوج !

فتركته فجأة وهي تقول : تزوجت .. ؟ قال : من أربع سنوات ، ولي ولد ،
وأسكن قريباً من هنا ، في « سانت انجلو » !

فسألت : هل زوجتك من « تورين » ؟ قال : لا ، من هذه النواحي .
ووقف الاثنان تحت المصاييح ، ينظر الواحد إلى الآخر ويفهم روحه تمام الفهم !
في ذلك الطريق الجهم ، وعلى خطوات من المنازل المراجعة ، وجد كل نفسه بعيداً
عن موطن حبه الأول ، ومقيداً إلى هذا المكان الذي دفعه اليه القدر القاسي ، وشعر
كل منهما بالرحمة تتدفق من قلبه إلى قلب صاحبه ، ولكنها رحمة بدل أن تدنيهما
أغلقت كلا منهما في سجن من الشقاء الذي لا عزاء فيه !

وسارا في بطء وصمت حتى قاربا رمال البحر . وكان الليل تام الهدوء ، والنسيم
رخيا ، وكان البحر نفسه متواريا في الظلمة ، ولكنها كانا يشعران به قلقا خافقا ،
نابضا في جوف ذلك الليل المدهم ، وشاهدا شيئا مبهما أرجوانيا مربدا يهتز على سطح
الماء ، ربما كان القمر مكتنفا بالضباب ! وامتدت الامواج المزبدة ثم تراجعت كألسنة
صامتة ، أما الظلمة المنتشرة فوقهما ، فقد طعننها حراب النجوم ، وهي ترداد تألقا
وتحاول ان تقول للأرض شيئا في ذلك الحلك الخفي العصيب !

مشيا على الرمال المبتلة ، وكما انطبعت أقدامهما على الرمال ، تحتها أ كف الموج ،
ورأيا في البعد شيئا أبيض تبيناه فاذا هو قارب صيد مقلوب .

جلسا ، والمرأة ناظرة بعينها الى السماء ورأى الرجل على ضوء النجوم ، جبينها
وسمه العذاب ، وجيدها خنقه الألم !

قالت : « نولي » ! ألا تزال تغني ؟

أجاب : أنا ؟

قالت نعم أنت ! لا أزال أذكر صوتك في الأيام الخالية . صوتاً عذباً حلواً شجياً ،
هل نسيت يانولي ؟

نعم يذكر ، لقد استتارت هذه المرأة ذكريات دقيقة من أعماق نفسه ، فذابت
رقه ونزوعاً إلى الماضي ، إلى الماضي حيث كان يخرج مع رققة له في الليالي الزاهرة فيغني ،
وتردهر الأغنية على شفته الناضرة ، لقد كان يغني ، كان فياضاً بالحياة ، وكانت في
زمرته هذه السيدة ، وكان يميل إليها ويتحجب ، لا غراماً ، وإنما لحاجته إلى قلب يحنو
عليه ويرق له !

كررت سؤالها ، هل نسيت ؟ قال لا ! لم انس . ودمعت عيناه ، فصاحت أتبكي ؟
فلم يجب ووجد المهما يخف وينتشر رويداً ، وشعرا أن المهما هو ألم الدنيا بأجمعها ،
ألم الظلام والبحر القلق ، والسماء المتألقة ، والأصداف والرمال ، ألم الانسانية التي تتساءل :
لماذا نولد ؟ ولماذا نتزوج ولماذا نموت

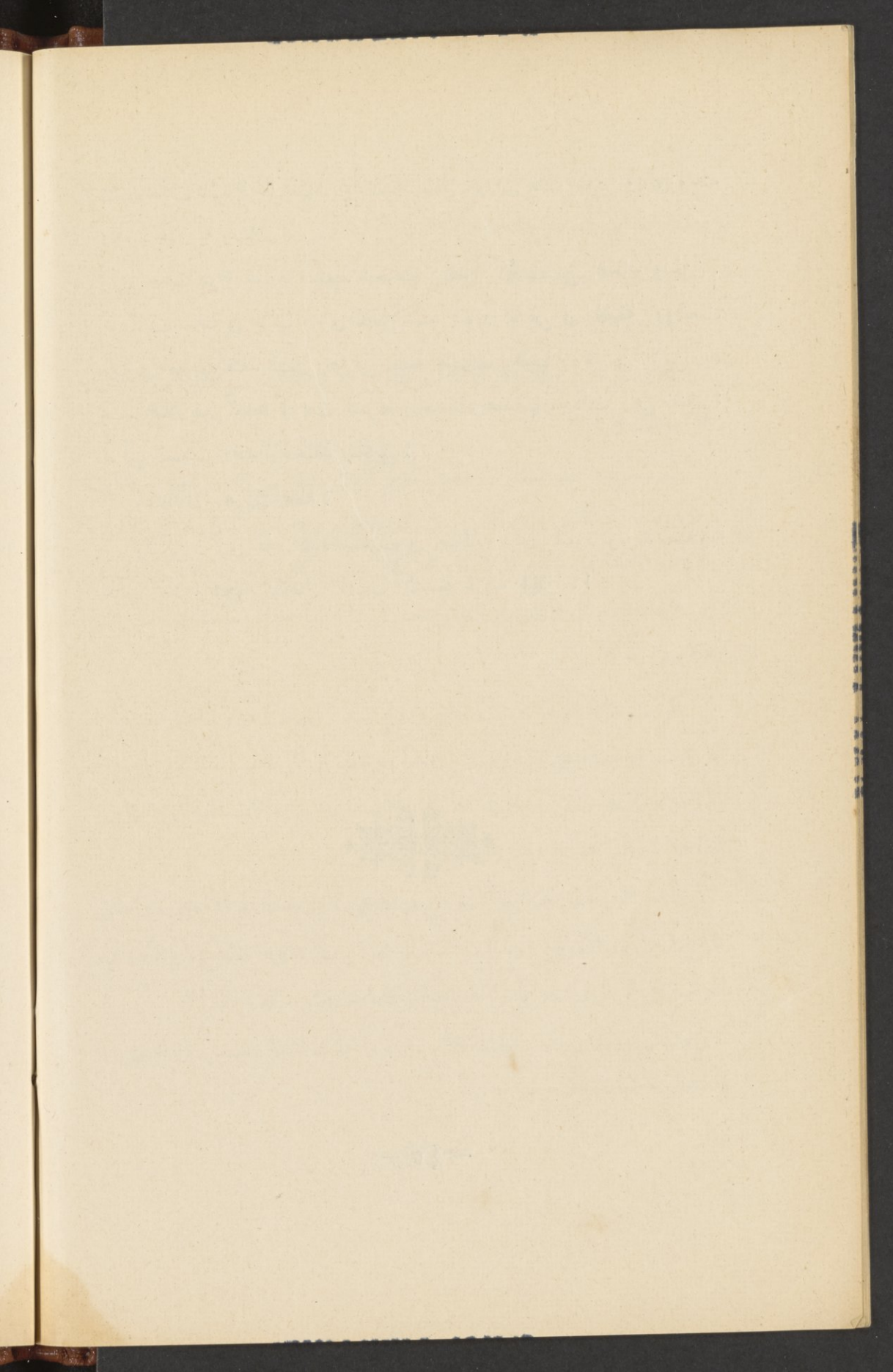
وأخذ الليل يظلل حزنهما الذي ذاع في الدجى ، وارتجف مع النجوم ، وانطلق
يقرع الرمال مع الأمواج . وسألت النجوم بحرابها في هاوية الفراغ ، والأصداف
الترامية على الرمال والبحر بأمواجه المتعبة ، كلها صاحت سائلة ، لماذا ؟ ؟
ولكن رويدا رويدا . أخذ الظلام يرق ، وأخذت اشعة الشمس في الظهور ،
وأخذت الأشياء تميز بوضوح

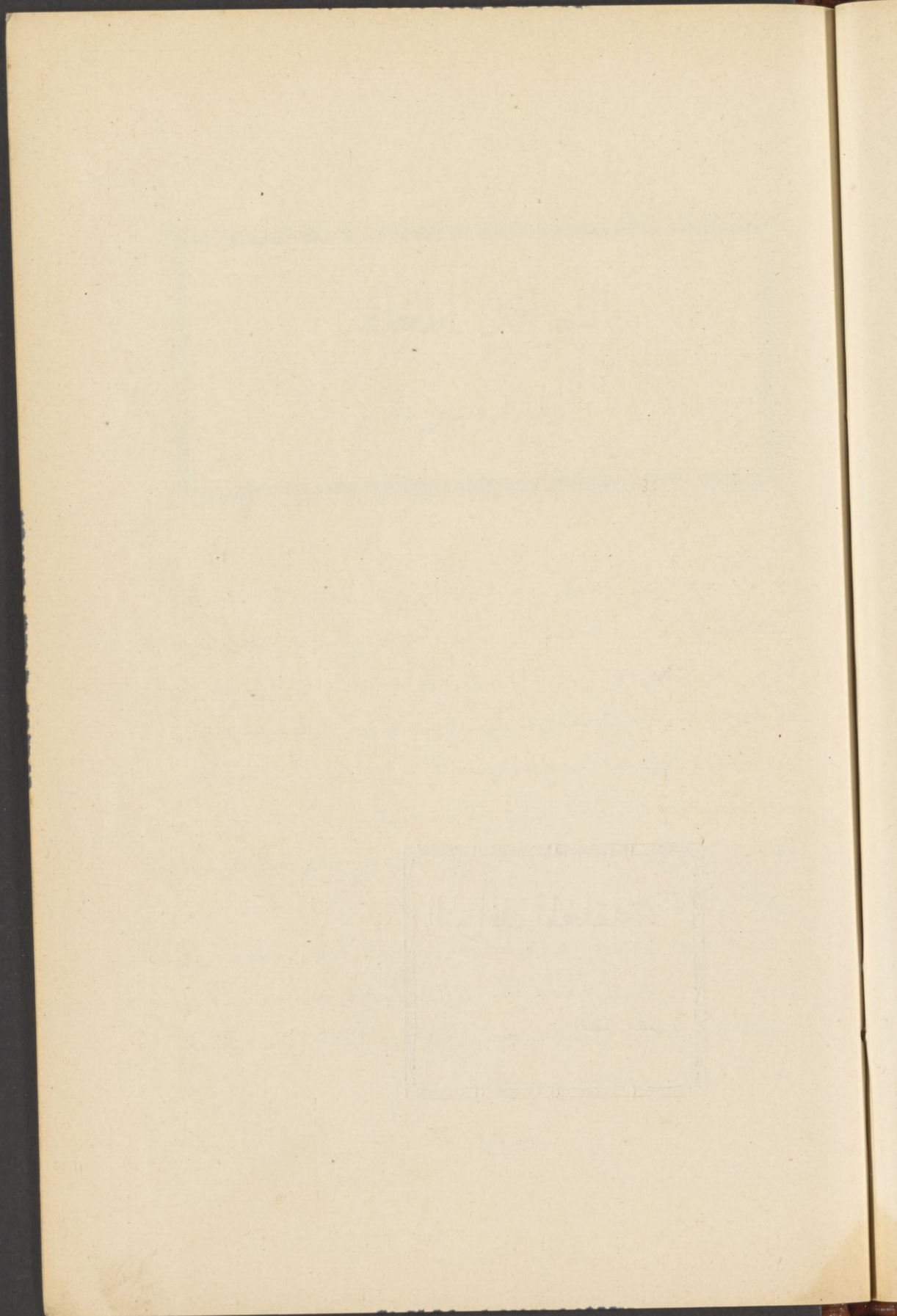
وأخذت نائرة الرجل تهاداً ، ولم يعد يتساءل ، ورأى نفسه يعود ، ويرى زوجته
وولده يرحبان به ويهلان له .

وأخذت المرأة بدورها تستعيد شجاعته . لقد أكثرت من اللجاج والحزن .
ربما كانت مبالغة في حزنها ، ترى الدنيا أشد سواداً مما هي في الحقيقة ووضعت
يديها في جيوبها تفتقد المال ، ها هي بضعة جنيهات تكفيها ردحا من الزمن ريثما
تجد عملاً يقيم أودها وترتبت شعرها وأحسنت هندامها ، وقالت وهي تبسم :
آه أيها الصديق ، لقد أزعجتك بشكايتي !
وعادا أدراجهما إلى المحطة !

ولكن ذكرى هذه الليلة استقرت في حنايا روعيها ، لتعود يوماً ما مصحوبة
بخيال البحر والنجوم والرمال ، وتهب كنسمة حزينة عليلة ... !







النوافذ المغلقة

فئة مصرية

النوافذ المغلقة

قصة مصرية

وثب عبد السميع افندي من فراشه ، وأسرع إلى ساعته ، فوجدها واقفة كالعتاد فلعنها ولعن الشركة الحقيرة التي صنعها وخدعته فيها . وفتح النافذة بسرعة فعلم من ظل الشمس على الجدار ، انه لم يزل مبكراً . فتهد في ارتياح ثم مضى الى المطبخ فوجد « الواد على » يغط في ملكوت عجيب فركله برجله فقام مذعوراً وقال : نعم ياسيدى ! فأجاب عبد السميع افندي غاضبا : نعم ايه يا ابن ... مش تقوم تشوف حاجه ناطر . فقام « الواد » ليبحث في جوانب المطبخ عن هاته « الحاجة » فعر بقطعة من الخبز فوق « صينية » لم يأكل عليها عبد السميع افندي فقط ، بل أكل الدهر معه عليها وشرب . . !

وتبعه سيده بنظره ، وقبل أن يجيبه ، رجع أدراجه إلى غرفته ، وعاد بقرش في يده أمر خادمه أن يشتري به صحن فول . ثم ارتدى ثيابه في دقيقة ، والتهم الفول في دقيقه ، ونزل الدرج في دقيقة . ووقف ينتظر ترام السبتية ليذهب إلى بنك « بابايوانو » الذي يعمل فيه منذ عشر سنوات .

نعم ! منذ عشر سنوات ، وعبد السميع افندي يشتغل كاتباً في ذلك البنك الرومي
ومن أعاجيب الزمن ، وجود هذا الافندي بين الخواجات ، في بيئة ليس فيها شيء
مصري غيره ، وغير أكياس القطن المترجمة والأرض ، والبواب !

منذ عشر سنوات ، كان المال وفيراً والنعمة تعم الجميع . وكان (الحاج سيد)
والد عبد السميع من عملاء البنك ، فنشأت بينه وبين الخواجه صاحب البنك شبه
صداقة . فذات يوم ، شرب الحاج سيد القهوة عنده ، واستغرق في الصمت على غير
عادته ، فسأله الخواجه عن سر صمته فأجاب : « والله عبد السميع ابني خد الشهادة
امبارح ، وبدنه نشغله شغلانه » . فجرى القدر على لسان الخواجه قائلاً : « سييك
من الحكومة وهاته عندنا » ! فعاد الحاج سيد في اليوم الثاني مستصحباً الافندي
المدكور ! واشتغل عبد السميع ، ودرج الزمن ، وألف الأروام أن يروه كما ألفوا منظر
أكياس القطن والبواب الذي يفتح لهم الباب كل يوم !

نعم ! درج الزمن ولم يتغير شيء في عبد السميع غير ابيضاض بضع شعرات في
فوديه ، وغير أنه نسى العربية تقريباً لفرط ما أتقن لغة الأروام .
ومرت حياته على وتيرة واحدة — نفس العرقة الحفيرة في حارة بقرب المحطة
و « واد » يذهب وآخر يأتي من البلد ، ولا فرق بينهم سوى ان هذا اسمه « احمد »
وذاك اسمه (على) وهكذا . والحياة في مصر على هذا النسق لدى أكثر الناس ،
وبخاصة شبابها ، أمثال عبد السميع . قيام ، قترام ، فبنك أو مصلحة فعودة ، فنوم
فقهوة ، فنوم !... على نظام : « نظرة فابتسامة فسلام !.. »

ولكن عبد السميع جد عليه في عهد هاته القصة ما لم يكن له به عهد . فاذا سرت
وراءه ، وجدته أكثر قلقاً وأشد شحوباً — واذا وثب الى الترام اندفع إلى قرب
النافذة ، واذا وجد من يملاً مكانه استجدى ذلك المكان ممن يملؤه وزاحم عليه اذا

أمكن ، وعرض نفسه للسخرية واللوم . ولكنه لم يكن يبالي بما يصيبه مادام يحصل على ذلك الركن الحرام .

وعندما يمر الترام تجاه المنزل الكائن بين البقال « خريستو » وشادر الخشب ، يثب بشدة ، ويشرب بناظر ظامي يكاد يثب من محجره ، فيقبض بيد على حافة النافذة ، ويبد على قلبه يهدى من ثورته — ولكنها لحظة — ثم يعتدل في مكانه تاركا موضعه لمن يرغب فيه .

*
**

مند شهرين وعبد السميع يقاتل في سبيل مكانه قرب نافذة الترام ! نعم يقاتل قتال الابطال ، وفي مرار كثيرة لم يستطع أن يظفر بمكانه المنشود . فاذا اقترب الترام من شادر الخشب ، دهش الناس لشاب مخبول ، يثب فجأة الى نافذة الترام ثم يعود وقد انتهى كل شيء ! سكنت العاصفة وبقي القلب يتمزق !

وعرف الكساري عاداته ، فكان اذا رآه سخر به قائلا :

« على الشباك يا أفندي ! فيفضي صاحبنا في خجل ويطلق دون اجابة !

ما السر في ذلك القلق والشحوب والجنون ؟ امرأة ولا شك ! وهل غير المرأة تحدث ذلك التبديل ؟ واذا جرت الحياة على وتيرة واحدة ، وسالت مسيل النهر ، وصار لها خريه المتشابه النغم ، فهناك شيء واحد فينا يستمر في ذلك الهدوء ثم يثور عليه ، ويحتج ويصخب ويتمرد ذلك هو القلب ، فله حنينه وجنونه وصرخته وقلبه عبد السميع كباقي القلوب ، ظل يتابع ذلك الهدوء ، وان كان يثور أحيانا فيسكته عبد السميع مقنعا إياه بالفقر الذي يحوطه ؛ مذكراً بالغرفة الحقيرة ، و (الواد) القدر

*
**

ذات صباح ، ثار ذلك القلب ثورة عنيفة مجنونة . وكان عبد السميع في الترام

فتطلع الى السماء يشكو نار تلك الثورة ، وبينما هو مرسل بنظره الى أعلى بعثت له
السماء أمنية القلب ، في شكل حورية تنظر من نافذة . نعم ، تلاقت عينه بعين ساحرة
بشعاع غني ينبعث من بيت فقير . قبس من الرحمة في بؤس متكدر !
واطلت عليه تلك الرحمة كل صباح ، في ساعة لا تتغير ، فاعتاد أن يؤمن بها كما
يؤمن بالله ؛ ووقع من صحراء حياته بتلك الواحة الخضراء ؛ وفي هجير عمره ؛ بذلك
الظل يسدل عليه من خلال نافذة ؛ ويعمر كيانه لحظة ؛ هي زاد له مدى أربع
وعشرين ساعة !

وتعارفا بالنظر ؛ ولم يحاولا أن يزيدا على ذلك ؛ وعرفت ميعاده . فكانت تقف
حتى يراها . وكثيرا ما كان يأخذ الترام عائدا مرة ثانية لعله يراها مرة أخرى .
فيخيب ظنه ! وأيقن ان رحمة الله تأتي مع الصباح لأسعاده وربما دارت بأشعتها
كالشمس . تعمّر آخرين . وكان هو سعيدا . وعاد شاعرا لا ينظم الشعر قولاً .
بل أحلاما موزونة ذات روى وقافية . وباتت تشغل أيامه ولياليه . فاذا عاد إلى منزله .
تحيل ضحكة مفردة كتغريد الطير . ترن في جوانب منزل جديد . لا في هذا الركن
البائس الحقير الفائن بالظلام !
وتحيل خدما كثيرين يرتدون ثيابا نظيفة بيضاء . لا (الواد على) بطاقيته
وجلبابه الملوث !

وإذا مضى الى القهوة . وجاءت (الطاولة) واندفع في اللعب . لاح له خيال
النافذة . وابتسامة الوجه البديع الرقيق . فأخذ يخلط في (الخانات) . وأخيرا
يسأم فيتخلى عن مكانه لغيره . وقد أثار الضحك والعجب !
ومرت الأيام . والخيال الجميل يقف له . والأحلام الذهبية تملأ عيشه رغدا .
وكان يسأل نفسه متى يعترم أمرا ؟ متى يسأل أهل الفتاة يدها ؟ ويصبح خطيبها !

فكان القلب يقول (متى)؟ وكل شيء في جوارحه يردد الصدى ويقول (متى)؟

*
**

ركب عبد السميع الترام كالمعتاد كل صباح! واشترى (الاهرام). واندفع
يقاقل دون مكانه المشتهى. واذا بطفل ضخم يملأ فراغ النافذة. وفي احدى يديه
(سميطه) وفي اليد الأخرى حلوة المولد. فدفعه عبد السميع بغضب. وصمم
الطفل على أن يزاحم ليرى ما يريد أن يراه الأفندي. فكانت معركة عجيبة بين طفل
وشاب...! وصرخت أم الطفل. وثار الناس. واقترب الترام من شادر الخشب.
فلم يعد يعبا عبد السميع بأحد وجرى الى حيث يرى خياله المعبود...!

ولكنه لم يلبث أن ارتد الى مقعده يائسا واهي القوى... لأنه في هذه المرة
وجد النوافذ مغلقة على غير عادة. فلم ير وجهها يطل ولا فما يتشم. ولا حبيبا
يرقب الميعاد...!

ومضى الى البنك. وقد سئمت نفسه العمل. وأحس بذبول في كيانه وضعف
ومرض! واعتذر بعلة وعاد مؤملا أن يراها في العودة!

لعلها مريضة... لعلها خرجت لحاجة تقضيها... لعلهم عزلوا...!
ورنت في فضاء فكره كلمة... لعلها...! متلاحقة حتى أصابه دوار مريع!
وبينما هو في الترام. شديد الملل. شديد اليأس. ممسكا بالصحيفة... وكان
قد نسى أن يطالعها. خطر له أن يتسلى بالقراءة... فماذا قرأ؟
قرأ الخبر الآتي:

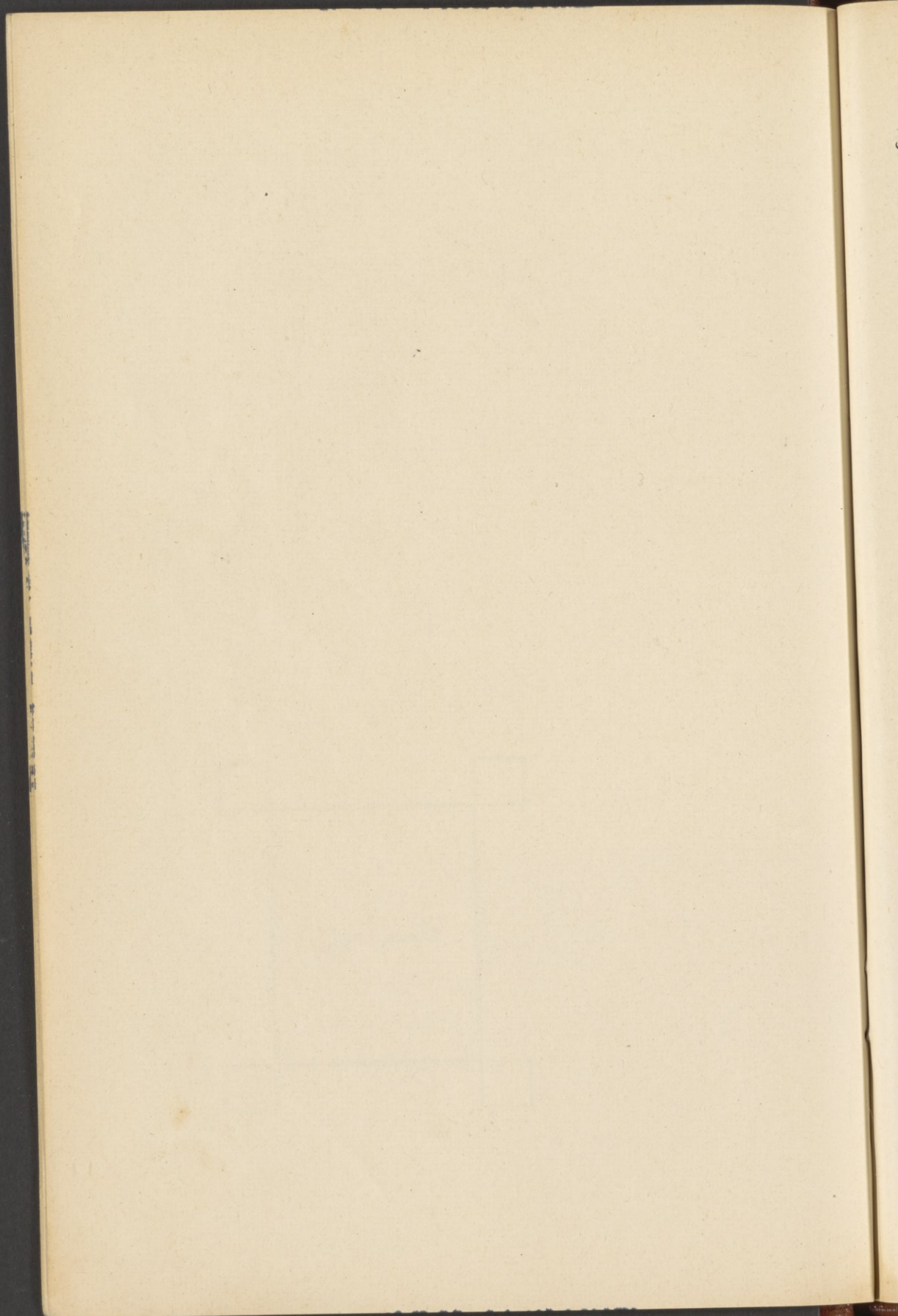
(صدم ترام السبتية مساء أمس فتاة وطنية ساكنة بمنزل نمرة... بينما هي
تجتاز الشارع. فنقلت الى المستشفى في حالة خطيرة. وماتت على الأثر)

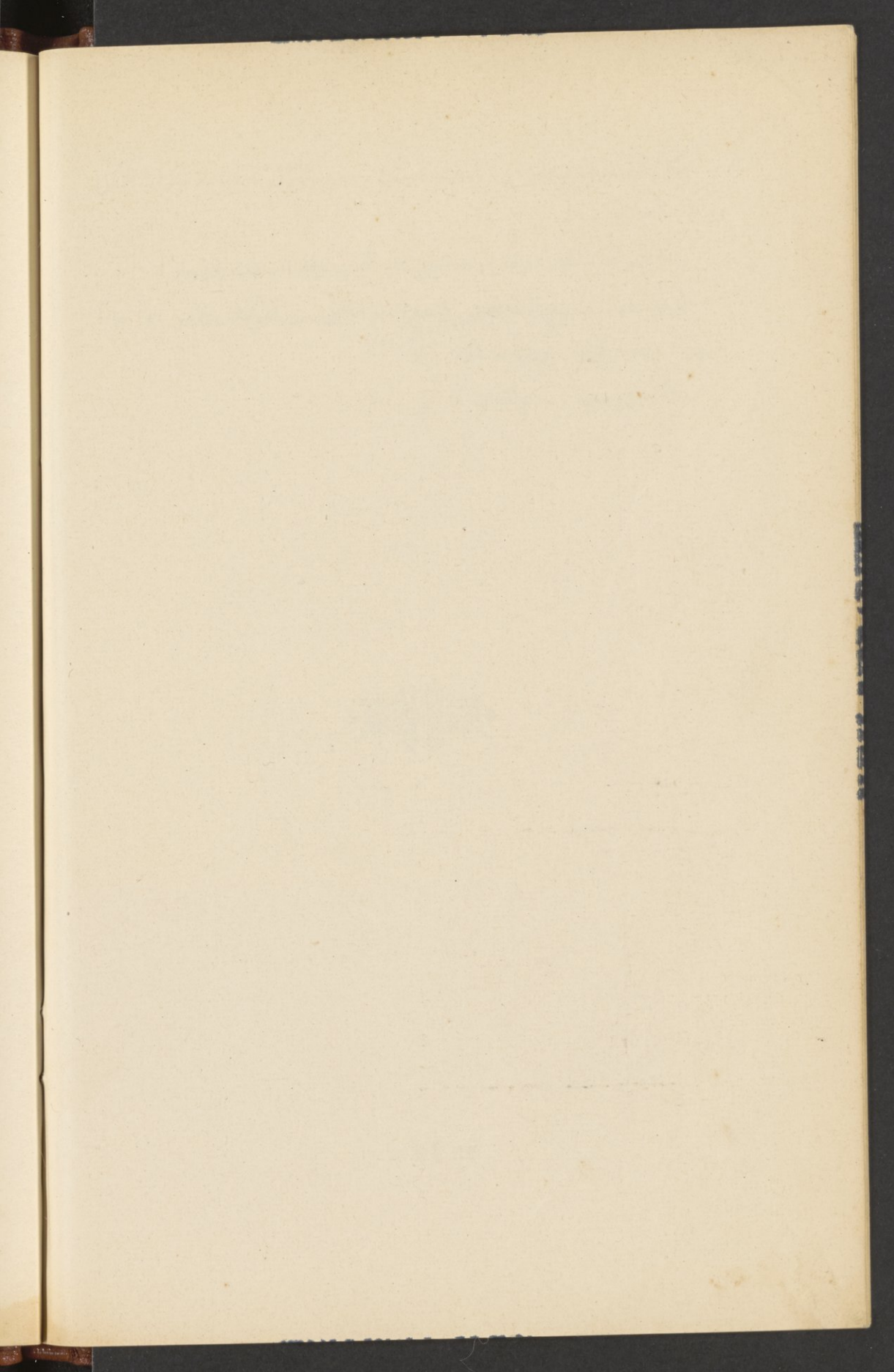
وكان الترام يقترب من شادر الخشب . ويمر بالمنزل نمرة ... منزل الأمل
ووكر الأحلام !...

وإذا بالنوافذ مغلقة . وإذا بسيدة تبكي عند الباب وقد أتشحت بالسواد !
فوجد عبد السميع نفسه يجيش بالدمع أمام الناس . ورأى املا يتلاشى . ورجاءاً
يتبخر . وقدرا يقهقه . ودنيا سافلة .. !

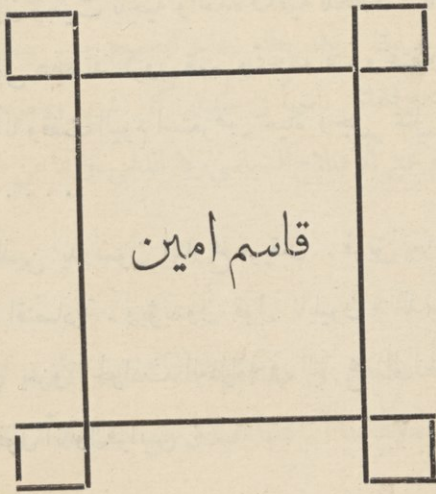
والترام في سيره ... والقافلة كما هي .. !







زینباً حسنة



قاسم أمين

سادتي الأفاضل

قاسم أمين شخصية فذة متعددة النواحي ، نواح كلها عظيمة جليمة ، وهل هناك أروع من شخصية جمعت تقديس الحرية والجمال والفن ؟ هل هناك أروع من شخصية قاض يغفر الخطيئة ويعفو عن المجرم ، هل هناك شخصية أروع من شخصية رجل فهم روح هذا البلد ، وتغلغل في أعماقه ؛ وعرف السر في تأخره ، اندمج فيه حتى أحس بآلامه ، شعر بشعوره ، ثم راح يعمل على انهاضه من كبوته .

نواحي قاسم متعددة ، نسيت كلها تقريباً وعادت لا يذكرها إلا الأقربون والتأدبون وبقيت ناحية واحدة تكفيه للخلود . تلك هي ناحية المرأة .
ومن هذه تذكرون قاسم وتمجدونه ، وتحتفلون بذكراه .
وأنا وقفت اليوم استعرض حياة رجل تمثل حياة عصر بأكمله ؛ نعم حياة عصر بأكمله

فالذين يدرسون التاريخ فريقان . فريق يعزو الحوادث العظيمة في التاريخ إلى أزمات اقتصادية ، ويؤيدون قول نابليون « الدنيا قامت على الجوع والخوف » . وفريق يعزو الحوادث العظيمة في التاريخ إلى أزمات في أرواح أفراد ! ويؤيدون بذلك قول أناطول فرانس :

(الدنيا قامت على الحب والجوع 1) وأنا شخصياً من الرأي الأخير الذي يؤمن
برأي الأزمات الروحية. ولا ينكر ما للرأي الأول من بعيد الأثر. خذوا الثورة الفرنسية
مثلاً، فيها عوامل اقتصادية واجتماعية هائلة، ولكن من من منا ينسى فولتير وروسو
أو يتجاهلها؟؟ ان الذي يدرس فولتير أو روسو. والذي يحللها ويعايشها. يفهم
الثورة الفرنسية وعواملها تماماً. وكذلك الذي يحلل قاسم أمين طفلاً. فشباباً يافعا.
فكهنلاً ناضجاً. كيف عاش وكيف أحس وفكر. الذي يستذكر أصدقاؤه الذين
أحبهم وحببوا اليه الحياة. ونفضوا عنه غبار السأم. الذي يستذكر ذلك يقرأ فصلاً
رائعاً من كتاب حركتنا القومية. يقرأ فصلاً عن الاصلاح الاجتماعي يمشي جنباً
لجنب مع الاصلاحين السياسى والدينى. يرى سعد زغلول وقاسم أمين ومحمد عبده
يرى ثلاثة من العباقرة. أولهم يتميز بالجرأة النادرة. والثاني بالاحساس التام والعاطفة
المستعرة والثالث بالايان العامر. الايمان المبني على العقل الكامل. هؤلاء انفقوا في
انهم من صميم هذا الشعب. واتفقوا في أنهم أكلوا ثقافتهم في فرنسا. والثلاثة
اصدموا بطبيعة هذا البلد الساكنة الحاملة الغارقة في الماضي المحبة للهدوء والراحة.
اصطدموا بالمعاول الهدامة. فتولاهم السأم والملال حيناً. وأقسموا أن يتركوا هذا البلد
يغط في أحلامه ولكنه قسم وليد ليلة لم يكذب يطلع عليه الصبح حتى تبخر. واذا
الرجل منهم يندفع في تنفيذ برنامجه الهائل ناسياً في سبيله كل شيء ومضحياً بكل
شيء! ولسنا الليلة بسبيل الكلام عن الاصلاح السياسى ولا الدينى. وانما عن الاصلاح
الاجتماعى في شخص قاسم أمين....

طفولة قاسم

ان ماضى الأمم متصل بحاضرها متغلغل في مستقبلها. وكذلك الأفراد لا يمكننا
أن نفصل ماضى شخص عن حاضره ويمكننا أن نتنبأ بصدق عن مستقبله: ومن رأى

كثيرين من العلماء اليوم أن الشخص يولد وفي خلاياه خلقه وما تركته الوراثة .
وفيها كذلك خلاصة التقاليد الذي مرت بقومه على الأجيال . وهذا مانسميه بالقومية
وما الثقافة — كما يقول جوستاف لوبون إلا كساء . وأن الوزير والفلاح عندنا هما واحد في
طبيعتها المصرية . ويبدو هذا الخلق الواحد في المجتمعات الكبيرة كالبرلمانات مثلاً
قان الانجليز تلقوا خبر مقتل غوردون في البرلمان بالبرود الانجليزي المتأصل في خلاياهم
وعندما خرجوا ثارت نائرة كل منهم على حدة ...

ولد قاسم وفي دمه مصرية صحيحة . وهي انعكاس لطبيعة هذا البلد الجميل .
هدوء وحياء ودعة واستسلام . إلى احساس ونبل وكرم . إلى عطف وصفح وسلام .
وكان الاحساس الوافر الشديد هو ميزة قاسم الكبرى . نرى ذلك في عينيه الواسعتين
الكبيرتين اللتين تطلان على العالم وفيهما أغوار سحيقة من العاطفة الدفينة والحب
الجياش المستر . تعلم الطفل قاسم كما يتعلم غيره من ابناء الطبقة التي تعيش في يسر
ورخاء . وان تخيلته في ذلك الوقت اتخيله طفلاً محباً للعزلة دائم التفكير والتأمل .
يهرب من عزلته ليتخير صديقاً أو اثنين . يحبها ويستعين بهما على الضجر والسامة
ويفضى اليهما بين وقت وآخر بملاحظاته عن المدرسة والمدرسين والرفاق . منتقداً
حيناً وحيناً مبدياً دعاة حلوة . ذات خيال شعري بديع ومن يدري ربما بكرّاً اليه
الحب في سنّ غضّ ونفسه حساسه مستعدة لقبول الحب الشريف الذي عاش يحجده
فيما بعد ويعزو له سعادة الدنيا كلها . من يدري ربما جلس في خلوة هادئة مع صديق أو
اثنين يقص عليها تلك العاطفة . وتأثيرها في نفسه وتطهيرها لقلبه . واستيلائها على
روحه . ترفع عنها الحجب . وتبصرها بما لا يرى الناس !

هكذا ظل قاسم : طفلاً . فصيباً . فشاباً حتى أخذ أجازة الحقوق : ثم سار إلى
فرنسا وهنا كانت الخطوة الأولى في تفجر ينبوع المحبتس في صدر قاسم . هنا كان

سبيل المقارنة بين شعبيين ، وبين مدينتين ، هناك كان سبيل جديد للتفكير والتأمل
فهناك كان معرض جديد للفن والجمال ، هناك كان معرض جديد للحرية هناك شعب
لا تزال ترن في آذانه صيحات فولتير وروسو ، ولم تستفق بعد من نداءات الثورة .
أخذت فرنسا قاسماً بالعاصفة ، فتحت قلبه وفجّرت روحه وألهمت إحساسه .

نعم احساسه وكان رجلاً متقد العاطفة . يعد العاطفة كل شيء ، ويعد العقل
قاصراً لا يجدي كثيراً . ويؤمن أن العاطفة هي التي جعلت الانسان يصل إلى الله .
ويفهم الفن ، ويعرف أسرار الجمال ... ان الذين درسوا تاريخ فرنسا الحديث يعرفون
ان اثنين قامت على أكتافهما الحركة الكبيرة الهائلة . فولتير وروسو . أما فولتير
فكان يدعو إلى استعمال العقل ، ويقول ان الأمة إذا أخذت تفكر فإنها أخذت
تسير إلى الأمام ولا شيء في الوجود يعوقها . وفي الواقع أن فرنسا أيام فولتير أخذت
تفكر ... ولذلك شقت طريقها ، أما روسو فكان يدعو إلى حياة القلب إلى حياة
الطبيعة ، إلى عبادتها وتقديسها واستلهاها . ويظهر أن فرنسا بعد أن تبعت فولتير
وشقت طريقها أخذت برأي روسو ورأى روسو هو سرّ الحياة ولب لبابها ...

ماذا رأى قاسم في فرنسا ؟

رأى الحرية ، رأى الحرية في ابداء الآراء ، وابداء المعتقدات ، ورأى الرجل
يحترم رأى جاره ، ويحترم نفسه
رأى الفنون ، رأى المعارض الهائلة ، والمسارح والموسيقى المتجددة المتنوعة ،
ورأى أخيراً المرأة تمشي بجانب الرجل وتكمله !

ورأى أيضاً ذلك الرجل مستعداً لاضافة ذلك القبس الالهي ، فاهماً نعمة الله عليه
معتزلاً بجميله ، مقدساً إياه في شكل ذلك الرفيق المكمل له ، ورأى القوم يجددون
في كل شيء في اللغة وفي الآداب وفي العلم

خلا قاسم إلى نفسه وقال ولماذا لا يكون ذلك في مصر ...؟!...! ونجأة مرت سحابة

أمام نواظره ، ودمعة في محاجرهِ ، مرت بسرعة صورة من ماضي أمته ؛ رأى ملوكاً
يغيرون وقوماً آمنين وادعين هادئين مكثفين برزق يومهم ، هبّوا هبة ، وغضبوا غضبة
حين أقبل المعتدي على ديارهم ، وربما ثاروا في وجهه يوماً أو بعض يوم وربما كان لهم
قادة وزعماء أقوياء . . . ولكنهم سرعان ما هادأوا ونزلوا على رأي الحاكم الجديد ،
وبذلوا له كرمهم القديم ونبلهم المتناهي وما زالوا به حتى فاضوا عليه من طباعهم ،
فمّصروه وعاموه أن يكون مثلهم مضيافاً كريماً متسامحاً ! اولئك قوم يحبهم الانسان
ويغضب لهم وعليهم بقدر ما قبلوا الغيرين عليهم ورفضوا أن يغيروا ما بأنفسهم
فكيف السبيل إذن لمن كان مثل قاسم أن يدخل إلى مصر كل ما رأى في فرنسا
من جديد ورائع ؟ ووقفت العقبات مرتسمة على وجه قاسم ومحطمة آماله الكبيرة . . .
فانطوى على نفسه وخبأ آماله الواسعة في قلبه الكبير وصبر حتى عاد إلى مصر . في مصر
عين قاضياً فكان قاضياً ذا مبدأ جديد ؛ مبدأ غفران الخطيئة والصفح . ولا أنسى أن
أذكر لكم قوله في السخط وغضب « هناك قضاة يحكمون بالظلم ليشتهروا بين الناس
بالعدل » . . .

كان قاسم كثيراً ما لا يبالي بالقانون . ويحكم أحكاماً غاية في البراعة . أحكاماً أدبية
تسجل له بالفخر وكان كثيراً ما يجمع الخصوم فيصلح بينهم . كان رجلاً يعرف معنى
الخطيئة . ويقول كما قال المسيح حين جاءوا له بالزانية ليرجمها « من كان منكم بلا خطيئة
فليرمها » وكلمسيح كان يقول حين يظلمه قومه ويثورون ضده « رب اغفر لقومي
فإنهم لا يعلمون » . في هذا الوقت كتب الدوق داركور كتابه ضد المصريين مشنعاً
عليهم متهماً أيامهم بالجور والتأخر . فرد عليه قاسم بكتابه الجليل « Les Egyptiens »
فإنها إذن كانت المرحلة الثانية في حياة قاسم هنا الساعة التي جعلت قاسم يلتفت إلى
نفسه ويشعر بالقوة الكامنة به ويقف الوقفة التي ألفت الأنظار إليه . والخطوة الأولى الحقبة
في الطريق الذي رسمه في سبيل الإصلاح والعظمة التي جمعت حوله العطاء الذين

وجدوا في روحه صدى لأرواحهم وفي دفاعه عن المصريين نفس مايجول في خواطرهم
وخلا قاسم إلى نفسه وكان كثير العزلة دائب التأمل خلا إلى نفسه وإلى صحبه بعد
أن دافع عن قومه قائلاً ها أنذا دافعت عنهم وسترت عيوبهم ولكن ما السبيل الحق
لاصلاح هاته العيوب؟ .. إذن قامت الأزمة الروحية في نفس فردوربما في نفس أفراد
وأذن فقد خرج قاسم الوداع المستقر . المستتر بحيائه المعتصم بعزله خرج عن صمته
وانبرى إلى الميدان ولم ينبر إلى الميدان وحيداً ولا خرج بمفرده . فقد صادفت دعوته
هوى في نفوس آخرين لايقولون عنه غيره وتفكيراً وعزماً . فانضموا اليه وأخذوا
جميعاً يضعون برنامجاً للإصلاح ... ولو تخيلتهم لتخيلت مجلساً رائعاً تم التفاهم فيه بين
أفراده . وتوثقت الألفة . وتكامل التجارب العقلي والروحي . هاهم يضعون برنامجاً
واسعاً جميعهم نشأوا في مصر وتثقفوا في الخارج . جميعهم يفهمون أولاً أن المهم هو
التعليم الذي يعد الرجل للحرية والكفاح لا التعليم الذي يعد الرجل للوظيفة ويكبله
بقيودها ! التعليم الذي يؤهل الرجل لمواجهة الحياة والاستمتاع بها وبالتناول من أطايبها
تناول الرجل الجدير بها بعد خوض المعركة والابتلاء بنارها وغمارها ماهو هذا
النوع من التعليم؟ التعليم الجامعي وعلى ذلك أخذوا يفكرون في انشاء الجامعة ...
هذا فيما يختص بالرجل . هذا فيما يختص بنصف الأمة . بنصف الحياة . والنصف الآخر؟؟
المرأة؟؟ ..! ..! وقف الحجاب حائلاً ! قبح الحجاب ! قبحت تلك الخرقه
المغرية التي هي علة ما ابتلينا به من جمود وتأخر وتدهور شنيع ! وكيف السبيل
إلى تمزيقها؟؟ هناك حوائل هائلة من الرجعية . والتقاليد والعادات والدين . حوائل
متكدسة خفيفة كسحابة قائمة تظلل أفقاً ما أجمله لولا هذه السحابة الثقيلة . هذه
السحابة التي تبرقع وجه السماء ... وتمجج العظمة التي ورأها ... والذي نبه قاسماً
إلى آفة الحجاب هو رؤيته لامرأة محجبة تمشي . وقد حجبت وجهها لإعينين . تغريان
من خلف الحجاب . إلا مشية تدعو الرجال إلى الفجور

وصفها أتم وصف في كلماته ... وندد بذلك الحجاب السخيف وسخط السخط
موتور يود لو مزقه بيده تمزيقاً .

ولم يكن قاسماً مصلحاً . وأديباً . ومفكراً فحسب بل كان فيلسوفاً اكتسب
فلسفته من اعماق احساسه وإدمان تأملاته ...

كان يدرك ان انحطاط الفنون والأخلاق والهضم وتدهور الآداب والطبائع . كل
هذا سببه شيء يدعى الحرمان والكسب ...

كان يعرف أن الملهم الصحيح للغناء والشعر والموسيقى هو المرأة . لذلك لم يكن
لنا فن ولا شعر ولا موسيقى لأن الملهمة محجبة متروكة في المنازل كاللبضاعة القديمة . .
وكان يرى الجمول والضجر والسامة تملو وجوهنا وتطبع مجالسنا بطابعها لأن
الفتنة التي كان يجب أن تنشر البهجة بيننا قد تركت لتذبل وحدها في بيت أسدلت
استاره واغلقت نوافذه . وكان يرى الفاظنا عادية . وكلامنا لا جديد فيه . ويتعطش
للقول النادر . والنكتة العبقريّة والدعابة الساحرة فلا يجدها . ومن الذي يخلق هذا
القول البارع أو النكتة الساحرة أو الدعابة الرقيقة إلا المرأة ووجودها بيننا ...

وكان يرى أننا لا نعرف كيف نعيش . وأننا لا نستمتع بالحياة . وقد كان قاسم
رجلاً يحب الحياة ويدعو للتمتع بها ... والتمتع نوعان ! نوع محرم وكثيرون لا يزالون
يزاولونه في عصرنا الحاضر : ولو سألت أكثرهم لأجابتك أنه نوع قصير الأجل .
سخيف . سرعان ما يسأمه الذي يزاوله . هو نار تحرق نفسها وتحرق الملامس لها
هو ذلك اللهو الذي كثر عند ما انعدم النوع الآخر ... النوع السامي البريء المشرق .
النوع الذي تكون فيه المرأة الطاهرة ملهمة رفيقه حلوة تشع في انفسنا السرور
والرفعة وتوحى الفضيلة والتضحية . وتجعل الشاعر يشدو بالشعر الجيد والمصور يبدع
في تصويره . والفنان في موسيقاه ! قاسم كان يمجّد هذا النوع من الاستمتاع
الشريف الطيب . كان يمجّد الحب الطاهر . كان يمجّد الجمال في كل أشكاله ويدعو

الى عبادته . وكان في دعوته متفائلا يجب أن يؤمن الناس كما يؤمن هو ان الله خلقنا
لنسعد ولنرد موارد النعيم . غير أنه لما أخرج كتابه عن المرأة ... كان هذا الكتاب
شيئا غير مألوف في هذا العهد ... فتألب الخصوم عليه يريدون تحطيمه . أكثر الذين
ينادون اليوم بحقوق المرأة كانوا أكبر أخصامه إذ ذاك .

فقد كانت الحركة مزدوجة في بلد تكفيه حركة واحدة ... قاسم أمين في ناحية
ينادي بتحرير المرأة . ومحمد عبده في الناحية الأخرى ينادي بتحرير الدين من البدع
والخرافات ويدعو الناس لتحكيم العقل في قضايا مرّت عليها الأجيال وهي في قدسها
تتحدى الزمن !

اما الشيخ محمد عبده فكان يملك ان يؤثر على الناس وان يوجه افكارهم كما يشاء .
إذ كان في منصب الافتاء . أما قاسم فليس له غير قلمه .

كان يقول عن خصومه هذا القول المدهش « كانوا يخشون الخروج من وكرهم
لتصيد الخيرات الغامضة المبعثرة في ظلام المستقبل »

ويقسم أن يتركهم وشأنهم ... يطوي دعوته ويكسر قلمه ...

فاذا به يعود ثانيا ويجد القاعدة القصوى في التهذيب هذه هي : العفو عن الخطيئة
العفو عن أكبر خطيئة . العفو عن كل خطيئة !

واذن فهو كان يغفر لقومه جهلهم وعدواتهم ... وراح يخطب في دار حسن باشا
زايد قائلا « اننا نطمح في أن نرى بين أبناء وطننا طائفة تطلب العلم حبا للحقيقة
وشوقا إلى اكتشاف المجهول فئة يكون مبدؤها التعلم لوجه العلم . نريد عالما يحيط بكل
العلم الانساني اختصاصيا اتقن فرعا مخصوصا من العلم وكاتبنا ذاع صيته في العالم
وعالما يرجع اليه في المشكلات ويعتد برأيه ... أولئك الذين إذا عدمتهم أمه حل محلهم
الجاهلون والدجالون ! »

وكان يعزو كل نقص في الحياة العملية إلى نقص تربية الاحساس في طفولتنا ، أهملنا قلوبنا فصرنا ماديين ، صرنا نكتفي من الحياة بتحصيل الرزق ، ولذلك قلّت مطامعنا ، وقل المكافون المغامرون الذين يثبون إلى الصف الأول . . . لأن الشجاعة الحقّة هي شجاعة القلب . أما الشجاعة التي تأتي من العقل فأقتها كثرة التردد والتدبر ...

اذن دعوة قاسم هي دعوة فنان يحب الحياة والحريّة ، والجمال . ويرى أن السعادة الأولى هي في « شكل امرأة لها جمال المرأة وعقل الرجل ! » ويقول عن الحب الشريف : « إذا كان المال هو زينة الحياة فالحب هو الحياة بعينها ! »

ولكى يفهم الرجل المرأة تماماً ويصلح لعشرتها يجب عليه أولاً أن يتعلم تعليماً يؤهله لذلك ، تعليماً يعده للحياة كرجل ، ينزل في غمارها ويستمتع بها آخذاً من فنونها ما يسعده وينشط أعصابه ويجعله يبتدع ويفكر ويخلق

ولا يمكن ان يبتدع ويفكر ويخلق إلا إذا سارت المرأة الى جانبه تلهمه وتهذب طباعه وتجعله قويا بحبها وعطفها . وتريه من خلال ذلك الحب ما هو كائن في الدنيا من خير وجمال وابداع ... ولكونه يدعو إلى السمو عن سبيل المرأة والحب فهو من ناحية أخرى يدعو الى الغفران والصفح والسلام . ولم تكن هذه نظريات يدعو اليها وينساها هو : بل لقد أودى من كثيرين وقام الناس في وجهه ، حتى منع من دخول قصر عابدين فكان يجد في هذه العراقيل « ما ينشط أعصابه ويغريه بالاستمرار والثبات »

هذا منذ ربع قرن أيها الساده :

فأين هو الآن لتبصر عينه لطفه النادي ونعيمة الأيوبي ومنيرة ثابت وغيرهن

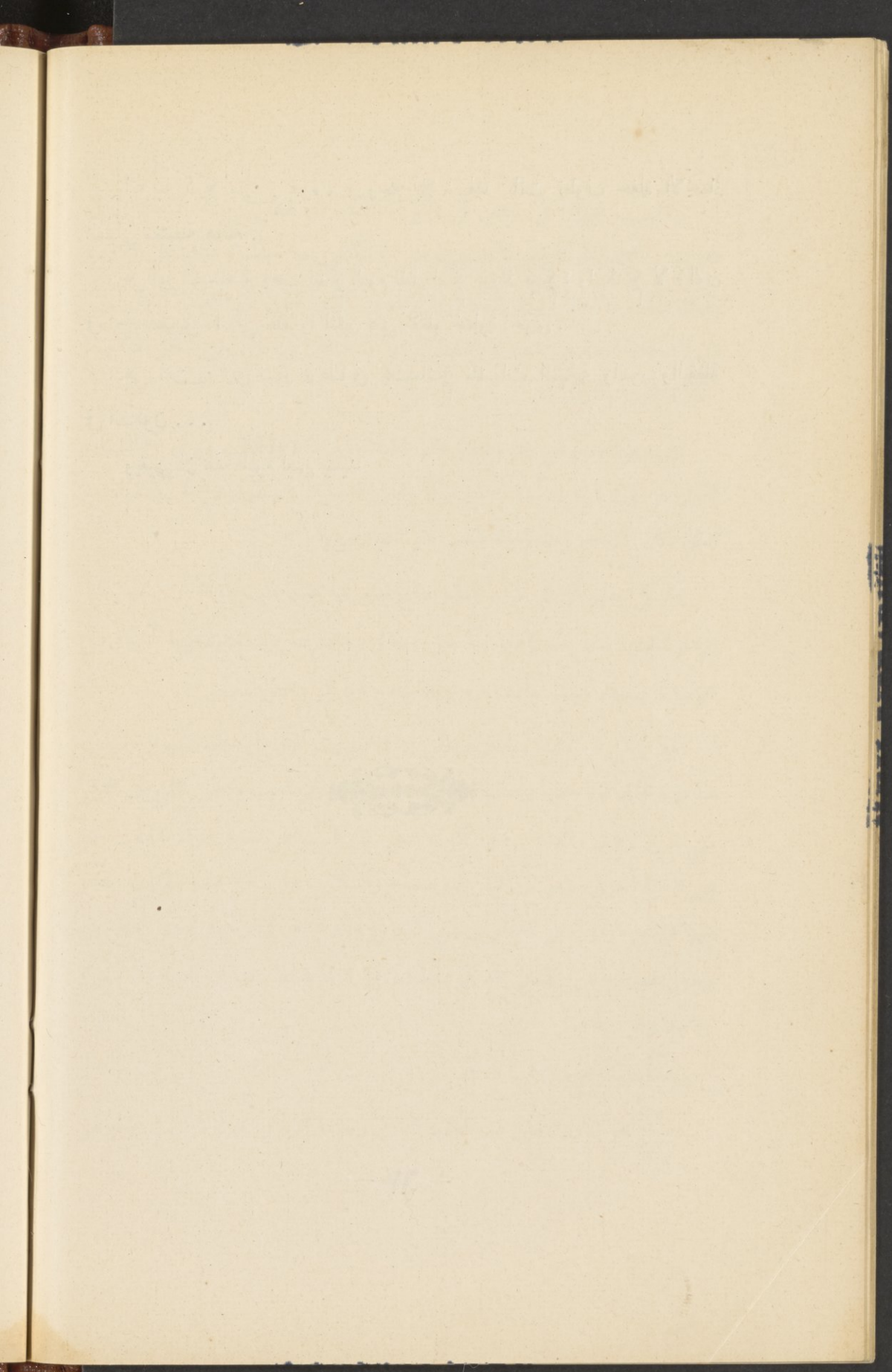
انه يبارككم من قبره ، وروحه بلا شك كانت تطوف حفلة الاتحاد
النسائي مغتبطة هائثة .

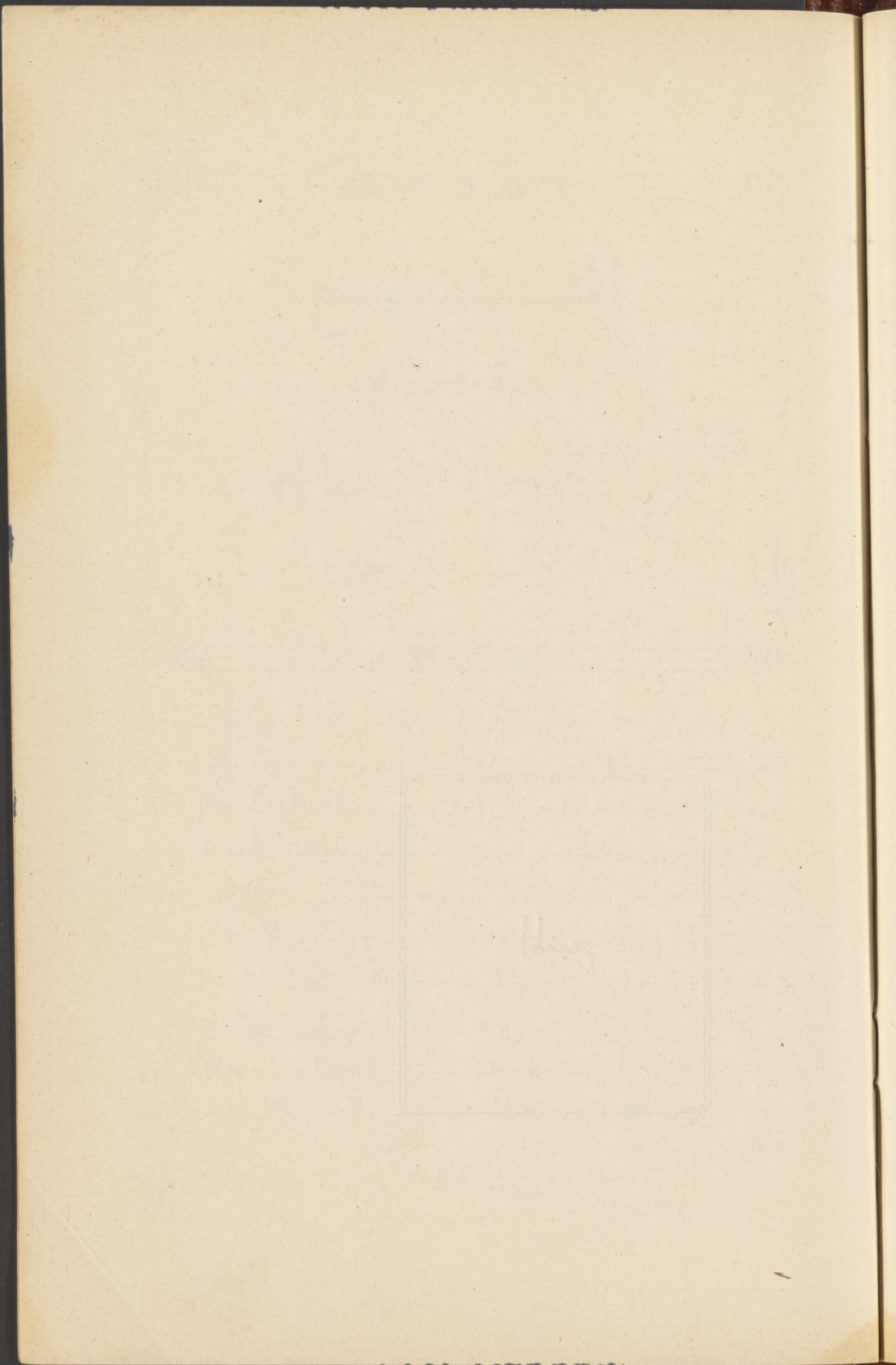
على أبي ائق انه لو وقف بينكم اليوم لقال لكم بورك فيكم : ولكنكم لا تزالون
في أول الطريق ... لن تظفروا بالخير حتى تخطو خطوة أخرى .

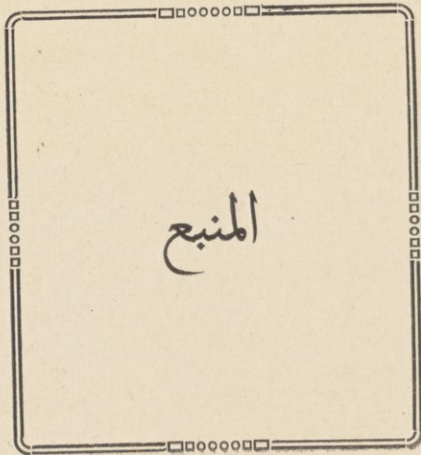
هي ان ترى نساؤكم علنا في مجتمعاتكم ناشرات البهجة والنور واليقظة
في الكون ...

ويقيني ان هذا اليوم ليس بعيد









المربع

المنبع

قصة ملخصة

عن الكاتب الانجليزي الشهير

تشارلس مورجان

« لاغرو أن قصة المنبع . انما هي أقوى القصص العالمية التي ظهرت أخيراً وقد كانت درة الموسم الماضي في عالم التأليف . أما موضوعها فهو التفاهم الفكري بين رجل وامرأة والتفاهم الروحي بين رجل ورجل هما في القصة أخصام ولكن التألف الفكري والتوافق في ذلك الأفق العالي يحو الخصومة ويسمو بالناس إلى مراتب الألهة . والقصة التي نحن بصددنا مقسمة إلى سبعة أقسام . الأول دعاه المؤلف (بالطاييه) والثاني (القلعة) والثالث (البرج) والرابع (المهرب) والخامس (القيد) والسادس (النهاية) والسابع (البدء) وهو تقسيم ظريف كما يدل على ذلك سياق القصة ولعل أبرز طابع في « المنبع » هو الطابع الفلسفي الذي يطبعها من أولها إلى آخرها ونوع من التصوف يحيط بالقصة كهيكل من القداسة وبينما ترى المؤلف يخلق ذلك التحليق . ويصعد بنا في هاته الاجواء إذ بك تراه ينزل بنا إلى علاقة الاجساد

ويعود بنا آدميين تحكمتنا غريزة الجنس وتطغى علينا. وينسى المؤلف نفسه. ينسى الفلسفة الصوفية التي يحبها. ويصير عصرياً يصف العلاقة الجنسية في صراحة مدهشة. فبينما انت تقرأ فلسفة بلاتو. إذ بك تقرأ فصلاً في الحب البشري. في سموه وانحطاطه. في سمو التفاهم الكامل وفي تسفل الشهوة الجامحة

نحن الآن في خلال الحرب العالمية الكبرى. العالم في اضطراب وقلق. يصف لنا المؤلف قطاراً مسافراً يحمل بعض الأسرى الانجليز الى أرض محايدة هي هولاندا وبين هؤلاء بطل القصة « ليوس » Lewis لا يزال في مقتبل الشباب. ولكنه لفرط اغراقه في الفلسفة والتفكير. يبدو أكبر سناً من حقيقته. ويتكلم بروية وتؤدة فيضطر غيره إلى الاصغاء اليه. نفهم من حديثه معهم انه مغرم بالتاريخ لا يدرس التاريخ لنفسه. ولكن للفلسفة في التاريخ. يدرس تطور العقل الانساني المشترك في العصور المتعاقبة. ويتابع ناحية جلية فيه. هي أن هناك عقلاً واحداً من أقدم عصور التاريخ إلى اليوم. يحاول أن يرى ويصل الى النور وسواء كان ذلك بلاتو أو نيوتن فانه العقل الانساني. يحاول أن يخترق الحجب وأن يمزق قناع الغيب

« ليوس » ذاهب مع رفاقه الى « طابية » في حراسة قائد هولاندي. يفرح ليوس بالأسر ويراهها فرصة سانحة ليخلو إلى النفس ويفكر ويخلع عن نفسه ثوب الجسد « كما يخلع الثعبان ثوبه » وتصل اليه كتبه التي أرسل في احضارها من إنجلترا فيستعد للخولة والقراءة ويعطيه أحد الضباط غرفة ليخلو فيها ويقرأ على هواه فيمزح معه أحد رفاقه قائلاً: أنك لن تستطيع أن تستمر على هذا الانقطاع عن العالم. لانه لا بد من امرأة تفسد عليك ذلك. أن النساء يأتين من حيث لا ندري. أمهن يتسللن الينا من حيث لا يعلم الا الله

ولا يكاد يمضى على هذا المزاح بضعة أيام حتى يعلم من قائد الحامية أن سيدة هي زوجة لبارون هولاندي تعرفه من إنجلترا. سمعت بانه في الطابية فهي قادمة اليه

تزره . ويدعوه القائد ذات يوم ليتناول الطعام مع البارون وزوجته .
ونعلم من سياق القصة ان البارونة كانت مربية في إنجلترا وأن ليوس كان مدرساً
لابنتها . وان البارون تزوج منها بعد موت زوجته . وأن للبارونة ابنة — تلميذة
ليوس — موجودة بقصر البارون في انكندال . وأنها متروجة من الماني غائب يخوض
غمار الحرب . وأنها آية في الحسن وأنها لا تزال تذكر ليوس . وتريد أن يزور
القصر عند ما يعطي اجازة قريية ليرى المكتبة الكائنة ببرج القصر ، والتي تطل على
البحيرات الرائعة والادغال الجميلة : والاسرى في الطاوية . صنوف متباينة . فمنهم
الطيار الذي اعتاد الجو فلا يستطيع الصبر على الاسر . فيقول لليوس مخاطباً اياه :
« اتعلم أني حين اطيّر أصل إلى لحظات ينكشف لي فيها الغيب . وارى ما لا تراه
العيون ، كما ترى أنت بالطبع حين تخلو إلى نفسك والى افكارك . ثم اعود الى الأرض ..
أعود آدمياً مع الأسف كما تعود انت بعد خلوتك . لتختلط بنا وتتكلم معنا »

وبينهم الجندي القديم الذي يشرب الويسكي ويلعب الورق حيث يكون وبينهم
الجندي الذي يحاول أن يعود لمهنته قبل أن يصير جندياً مثل بالتر صديق ليوس .
فهو يأخذ قطعة من الأرض فيتنفن في زراعتها . ولا يتكلم الا عن الزراعة . ولا يعلم
من أمر الدنيا غير الزراعة . يدعى الى القصر فحين يعود الى الطاوية يسأله ليوس . عن
المكتبة فيقول : « خشب زان ، ورفوف منقوشة والوان ظريفة أما الكتب التي
بداخلها فلا تهمه مطلقاً »

هؤلاء الاسرى على إختلاف طباعهم يفكرون في الهرب ... أما ليوس فلم يفكر
فيه ولم يخطر له ببال . لأنه سعيد بخلوته وكتبه ، ولكنهم حينما يسرون اليه تفكيرهم
في الهرب يجد نفسه مرحباً بالفكرة ويجد نفسه الرأس المدبرة للمؤامرة فيلقى الكتاب
من يده وينظم لهم امورهم ويرسم لهم الخطة وهي حفر خندق . يبدأ من غرفته . كيف
يحفرون الخندق . وكيف يحفون اصوات المعاول ، ينظمون حفلات ملاكمة يرأسها

القائد الهولاندي نفسه . وفي اثناء اصوات السكر والضجيج تعمل المعاول ويحفرا الخندق
يوشك الخندق ان يتم في بضعة أيام ، ويتهبأون هم ويستعدون بأمتعتهم للهرب
ولكن خادما يكتشف الخندق بطريق الصدفة . فيخبر القائد . فيغضب . ولكنهم
يصيحون مازحين : لتحي الاراضى المنخفضة Pays Bas يقصدون هولاندا
والخندق . فيفهم النكتة ويضحك . ثم يلبسونه بيجامته ويأخذون بيده وينزلونه
السرداب الذي احتفروه . بعد بضعة أيام يعطى ليوس وبالآتر اجازة قصيرة يسمونها
Parole ونعلم انهم ينوون ان يقضوها في انكندال حيث يوجد قصر البارون ...
وزى ليوس قبل الرحيل يقرأ كتابا للصلوات . يسأله بالآتر عنه فيقرأ له فصلا رائعا .
« عندما كنت طفلا أخذ الله يدي . وعندما كبرت هربت منه . ولما احتجت
الى الراحة والسلام بحثت عنه وطفقت المدينة بمصباح ثم غمرتني المذلة . وانحيت الى
الارض ابحت عنه في الاوكار . وتحت صفحات الازهار . ولكن لم أجد سلاما
ولا راحة . وصرت كطفل أو كعالم كبير ضل طريقه فلم أعد أعلم عم ابحت فرميت
مصباحي ومفاتيحي وبكيت ورأيت فجأة نوره يملأ قلبي . وعدت الى المدينة فاذا
النور لا يزال حيث هو . واذا بي امرح في سجن نفسى . بينما الدنيا تتابع الطرق على
بابي . رباه !! اعطني يدك عندما تدعوني اليك

أليست هذه الصلاة البديعة شديها بصلوات تاجور !

ويستأجر ليوس وصاحبه بالآتر منزلا صغير يسمونه كوخ Cottage وهذا
الكوخ ما هو إلا منزل أنيق جميل وينضم اليهم صديق ثالث يدعى رامسدل
ليوس في غرفة يقرأ ويفكر ! ويسمع صوت صديقه بالآتر وصوتا آخر يعرفه!
صوتا يقول : « علينا به نخرجه من مخبئه فيجيب بالآتر وماذا يهيك منه ؟ أنت
صائدة » فتضحك ضحكة التحدي والسخرية فلا يعود ليوس قادرا على الاحتجاب
لقد غزاه ضحكها في مكمنه غزواً وكأنما ضربته فوق وجهه بزهرة لائحة !

هذه الضحكة جاءت اليه من الماضي البعيد واستثارت ذكريات غالية . فذكر
الطفلة الجميلة التي كان يقرأ لها الادب الاغريقي . وما يزال يقرأ الاوديسا حتى تعود
كلماتها الحانا سحرية .

خرج من مكانه وتبعهما حتى ادركهما قرب القصر . وكانت تشير الى صاحبها
انها تسكن اعلى القصر . في البرج . فحين ابصرت ليوس صاحت « استاذي » ثم
قالت في دلال : كيف تجدني الان . هل تغيرت ؟
قال لها : اصبحت كشبح جميل قام من هذه البحيرة .

قالت . اذن وداعا للحم والدم !

واسرعت الى القصر كالطيف المعبود

يزورون القصر ويصعدون الى البرج في صحبة البارون ويتفرج ليوس على المكتبة
ويرى الكتب الغالية صفوفا صفوفا . وكان يحب في الكتب . صبرها وتعاليتها
وصمتها . يبقى الكتاب اعواما طويلة في مكانه فما تفتحه حتى تهب عليك النسمة
القديمة بعطرها وسحرها . وتسمع النغمة القديمة هي لم تغيرها الاجيال . واذا
قرأت مرة فشرد فكرك واندفعت في حماقة أو غرور . تعود حينما تشاء الى استاذك
واقفا من صفحه وغفرانه . واذا لم تفهم شيئاً تعيده وتعيده كما تحب واذا لم يرقك تلقيه
جانبا وتمضي في سلام .

يرى المكتبة ، فيخيل اليه أنه رآها قبل اليوم ، انه ليس غريباً عن هذا المكان
والواقع أن هذا يحدث كل يوم . نرى أمكنة وأناساً لأول مرة ولكننا نشعر
انهم ليسوا غريبين عنا . لقد رأيناهم مرة قبل اليوم ولكن أين ؟ لاندرى . هذه هي
نظرية التقمص . فان أرواحاً كانت تسكن هاته الأرض اغتربت عنها ثم عادت
تلبس أجساماً جديدة وهذه الأرواح هي التي تشعر انها زارت تلك الأمكنة أو رأيت
هؤلاء الناس . في شبه حلم بعيد .

يقول البارون لايوس . ان عمه « فان درك » كان عالماً مشغولاً بالتاريخ .
ويخرج له أوراقه التي كان يعدها لبحث قيم فعالجته المنية دون أن يتمه . ويدعو
ليوس لاتمام ذلك العمل . ويدعوه للاقامة في المكتبة متى شاء ويدعو الخادم ليكون
هو والمكتبة تحت تصرف السيد لايوس فيهم الخادم بالاعتراض ذا كراً أن السيدة
جولي تسكن البرج فينهره البارون ويقول كفى ، لقد أمرت .

وتنتهي هذه الزيارة بأن يتناول الجميع الغذاء في البرج

وفي اليوم التالي تزور جولي الأصدقاء في « الكوخ » وهم يتفلسفون فتسخر
منهم وتقول لهم : لقد قطعت عليكم الحديث وجئتكم كالدهيل ثم تلتفت فترى ظلاماً
وترى النار غير موقدة . فتقول : هل أنتم في مؤامرة ما بالكم في الظلام والبرد . ثم
توقد النار وتضع لهم الشاي وتجلس جلسة الطفل اللعوب أمام النار !!

وتنظر الى لايوس لتقول : ماذا بك . هل أزعجتك بدخولي . فيقول . معاذ الله
بل أنت حين تدخلين . تحملين معك الغازاً وأسراراً خاصة بالمرأة ...
قالت : اني لم أرد أن أقطع عليكم سكونكم الجميل . ولكني كنت أشعر في البرج
بوحدة شنيعة . وشعرت أنكم هنا . فارتديت ثيابي وأسرت اليكم

ثم يسترسلون في حديث رقيق وبعده تنصرف

فما تكاد تمضي حتى يتكلمون عن المرأة . فيقول لايوس : تريد أن تقيس المرأة .
مقياسها كبرياؤها . نحن الرجال متقاربون . نتبع قاعدة واحدة . وتقاليدها متشابهة فمن
السهل أن تدرك اذا درست رجلاً . أن تعرف ما هو صانع - متى يقف ومتى ينزلق -
ولكن لكل امرأة كبرياؤها الخاص فهناك امرأة لا تبالى بالتقاليد . وتحسبها مستهترة
لا تبالى بشيء . فاذا بها تقف لشيء كما تقف الصخرة . لماذا ! من يدري أقسمت
لزوج لآتجبه ويحسب الناس انها تخدعه بسهولة . او كبرياء خاص بمال او بولاد !

فكمال المرأة اذن لا قاعدة له هو خاص بها وحدها كوجهها ! وهو معبدها المقدس
تدافع عنه حتى الموت !

ما اصدق هذا عن المرأة . وهو قول عملي مبني على معرفة دقيقة للمرأة
نحن لانزال في القصر . يعرض علينا صوراً شتى من الحياة . فالاسرة تجتمع
بافرادها لتتحدث . والبارون رجل عمل طيب القلب وافر الصحة والنشاط يصف
كل شيء حسبما يراه . لا يتخيل ولا يجب الأوهام . وقد يكون صريحاً صراحة
قاتلة وهو يتكلم في وسط العائلة عن المرأة ، أو عن السياسة . أو عن أخلاق الانجليز
وهو فوق ذلك يحب جولي . حب الأب لابنته ويدافع عنها دائماً . ويعجب بليوس
ولا يزال كل يوم يزوره في المكتبة ليرى تقدمه في العمل الذي كلفه به . وهو
المذكرات التاريخية التي تركها عمه فان درك .

أما البارونة ، فمثل المرأة التي وثبت الى الاستقرائية فجأة . وترى المؤلف يبدع في
وصفها حين تنحنى فتتحرك رأسها فوق عنقها الضخم المكتنر بالشحم كما تتحرك الفرخة
الرومي الكبيرة ... وكانت تحمل مظلتها في استقامة كما تحمل السيف وتتكلم . كأنما
تفتتح برلماناً أو تزور ملجأ !

ويعرض المؤلف علينا صورة أخرى لصوفي ابنة البارون من زوجته السابقة .
وهي فتاة كبرت وفاتت سن الزواج ولذلك فهي تكره جولي لأنها جميلة ومتروجة
من ألماني ثري ، وتحقد على البارونة لأنها دخيلة جاءت فزعت منها السيادة . وصارت
سيدة القصر . وبينما نحن في سياق هذه القصة وغمار هذه الحوادث تصل اخبار موقعة
« جوتلاند » وانهمزام الأسطول الانجليزي . فيتلقاها الانجليز في وجوم : ويكون
ذلك اليوم ، يوم (التنس) فاذا بالانجليز وبخاصة جولي يلعبون . وقد تخيلوا
انفسهم في ميدان قتال . فتوهج وجوههم . ويشور ثائرهم . ويندفعون في لعب الكرة
كأنهم في قتال حار

والواقع ان الميادين الصغيرة كالكرة والتنس مثلاً قد تكون صوراً دقيقة لتلك
الميادين الكبيرة التي يعصف فيها الموت وترخص الأرواح .
وبعد التنس يتكلمون في السياسة . فيقول أحد الجالسين : ان القيصر خلع ،
فيقول أحد الانجليز ، وإيه يعني !

ويرد البارون قائلاً : « أنتم يا انجليز لا تكتشفون الثورة إلا بعد أن تكون قد
نضجت . وعندما تكتشفونها تنجحون في اخادها كما تنجحون في أي شيء في بلادكم
ولكنها أيها الأسياد روسيا . وليست إنجلترا

وتنتهي الليلة بموقف بديع . فان ليوس يتأخر في المكتبة ليقراً . وتأرق جولي
وهي في غرفتها بأعلى البرج . ويرى ليوس بصيصاً من النور ينبعث من نافذة الغرفة
فيصعد ويقصد إليها . وتكون بجوى وشكوى وغرام . وتسأله في لهفه ، لماذا أتى
أنها كانت تعيش في سلام وصفاء فاذا بها تشعر بحياتها تتمزق وتحترق وتحس برغبة
شديدة لأن تعذبه هو وتحرقه كما عذبتها وأحرقها بناره ، ويرفع نظرها إليها ، فيرى
الجوع والرعب في عينيها ودنت المسافة التي بينهما . وأراد أن يضمها بين ذراعيه
فاذا به يرتاع لثلاثي يمسسه لهيها . ثم تهن قواها ، وتقول في ضراعة وذلة — أن نصف
حياتي ميّت ضائع وعليك أن تخلفني من جديد

فيسرع إليها في صمت ورقة ودموع ويأخذها إليه كما يأخذ الطفل المطيع
في اليوم التالي ترى جولي انه لا يمكنها أن تستمر على ما بينها وبين ليوس . هي
امرأة متزوجة . وهي لا تحب زوجها حقاً ولكنها أقسمت ألا تدنسه ولا تلوث
عرضه ، إذن فلتكتب إلى ليوس لترجوه أن يرحل . فما يكاد يصله خطاها حتى يكون
هو في استعداد من نفسه للذهاب . ويترك انكندال الى لاهاي وتدور بينها وبينه
مكاتبات غاية في الرقة والابداع ، وتشكو اليه ويشكو إليها ما يجدانه من العذاب
ومرارة الفرقة ، وفي هذه الخطابات الجياشة بشتى العواطف ، ما يعطيك صورة صحيحة

لصدق حبها ، خذ مثلاً : منه لها « لقد مات الشتاء في نفسى ما كان أكثر ضلالى
وأنا أبحث عن السلام في وحدتى ، وعن الحق في داخلى وحدى ، ولكنه حق
متجمد ثلجي ، انه في حاجة من أشعة الشمس ، أشعة الحب لكي تذيبه وتكشفه ،
انه لا سحر كالحب ، ولا سحر كأن تحب ، ان اصبع الله على قلب الرجل »

ويتساءل البارون والجميع عن هذا السفر الفجائى ، وتهامس صوفي واخوتها ، أما
جولى فيقل صبرها وتندم في نفسها على انها ارادته ان يذهب ، فتدبر سفيراً الى حيث
يوجد ليوس وتستصحب البارون وتكتب الى ليوس تخبره بأنها ذاهبة الى لاهي
وتعطيه اسم الفندق الذي يزلون فيه ، وتنتظر هي هناك ، وتنتظر طويلاً أن تراه ،
وأخيراً يصيبها الملل . وتفكر في العودة ، فاذا به يزورهم في الفندق ، ويدعوه البارون
للرجوع إلى القصر ، فيعدهم ليوس معتذرا بان اعمالاً دعتة لمبارحة القصر بسرعة

يعود الى القصر ، وفي البرج يعود الغرام كما كان ، ويمجد ليوس هدوءاً وصفاءً لم
يعتدهما ، ويمجد في عمله وقراءته ويرى أن هذا الحب الجديد قد كشف عن بصره
ونصر له الدنيا وجعله يرى آفاقاً هائلة ، بقرب هذه المرأة بقرب هذه الشمس الجديدة ،
وتساعده وتعلمه بالدفء والهناء ، وأخذ يفهم الحياة على حقيقتها

وفي هذا الفصل نعرف رأى البارون في المرأة وهو رأى لا توافق عليه أية سيدة .
ان المرأة لا تهتم الا بالزينة والسرور وبالمال كوسيلة للوصول إلى هذين — وعندما تهرم
المرأة اكلمها عن ماضيها وعن حوادث عائلية وزواج على سبيل أن يتم : ولكن المرأة
هي المرأة ، متزوجة او غير متزوجة لا يجب أن أتحدث اليها حديثاً جدياً : سياسياً .
لا ، الحب الجدى . . لا ... المرأة كالعليق ، أو الطفل مازحة واجلسه في حجرى وهو
« يلزق » ولا يترك ركبتك

وفي هذا الفصل وصف بديع للحب

« إن عذاب الحب ناشئ من عجز المحبين عن تخطي شخصياتهم . لا سبيل إلى الخلاص من الوحدة ، أننا نقبل بعضنا محولين أن تمتزج فلا نفلح وتتناق عنقا شرها ، ولكننا نبقى اثنين على كل حال . وعند ما يتم امتزاج الرجل والمرأة في اشد أدوار النشوة ويحاولان أن يعبرا جسر الحسد الى وحدة الروح . يصلان الى سخرية ما بعدها سخرية . ومهما احاط الحب من خيال وحرارة وأيمان ، يتغيان الخلود بالذرية ، فان الاحساس الجسدي يظل كما هو . جسمان منفصلان كطائر ينحلان التلاق خلال « لوح » من الزجاج وفي آخر هذا الفصل نعلم بان ناروتز زوج جولي جريح وقد شوهته الحرب وانه قادم الى القصر .

ويسأل ليوس حبيته ، هل انت نادمة او تجددين عتابا من ضميرك . قائلة كلا .
كلا . . خذني معك . خذني معك

ويوشجان كفيها في قسم صامت .

ولكن هذا الهوى الشديد ، هذا الاتصال الدائم . لا يمكن أن يمر بغير ملاحظه فان الخصوم يتهامون ، وحتى الخدم يتكلمون

وينقطع ليوس عن الحجى الى القصر ويعود ناروتز ، وهنا يأخذ المؤلف في تصوير آلهة ، لا في تصوير احساسات آدميين وميوههم — يعود هذا الرجل الذى شوهته الحرب ، والحرب لم تنته بعد ، يعود ناقصاً ذراعاً ومريضاً بالربو ومقاسياً نوبات في الألم هي فوق طاقة البشر ولكنه يأخذ في الكلام ، فنشعر اننا تجاه رجل يفوق ليوس . كما تقول جولي « أنه ترك مرتبة التفكير والتعمق ، أنه صعد الى أعلى من ذلك واستقر فيها هو يعود بالامة التي لا تطاق . فيحاول ان يصير كآله جبار »

وعند ما يقوم الى القصر ، نرى البارون يستقبله بحنان ولكنه لا يكرم رأيه العملي في المرض فهو يقول : ان العالم كمنزعة ، لا يجب أن يتسامح المرء في الضعيف فيها وإلا قلّ الانتاج وحل الخراب ، فالضعيف المريض يجب أن يمحي ، يقول هذا ، وهذا الرأي هو رأي الرجل الجبار الموفور الصحة . الشديد النجاح الواثق من نفسه ، فارتوت محاول أن يصبر على الألم ولا يشكو ويريد أن يعيش ويقول في إحدى محادثاته أن الرجل القوي يتحكم لدرجة ما في الموت والحياة ، لقد جاء إلى القصر بالأمه وانتصر على الموت لأنه يجب جولى . ولاجلها يريد أن يعيش وما أبدع ما يأتي في وصف الألم . « الألم كالماء يحاول أن يرتفع ، يغمره قليلاً أحياناً وأحياناً يغمره تماماً فلا يعود يرى غير الظلام ، اذن هو كالماء على كل حال ويمكن للمرء أن يطفو عليه ويعتاده غير مبال بعمقه ولا بمداه وجزره ،

وعند ما يشتد الألم يصفه بقوله ، انه كعدوله وجه وايد وعينان تطاردانه وأنه يتبعه حيث حل فيطرده حيناً وينسى انه موجود بالباب ، ولكنه هناك ، يرقب أو يطارد . وينتظر الفرصة

ويجلس روبرت الى زوجته ، ليقول : انى سممت بان سيداً انجليزياً كان هنا في المكتبة وهو فيلسوف يبحث ويفكر ويدرس ، أين هو ، فتتداخل صوفى وتقول : أنه انجليزى فكيف تستدعيه ، فيجيب ، ولكنه يا سيدتي يقرأ بلا تو . اذن لا يمكن أن نكون أعداء ، ويرسل فى استدعائه :

ويتقابلان .. فيشعر ليوس انه تجاه رجل ممتاز ، يفوقه كثيراً ويشعر فوق ذلك أنه صورة من نفسه وتفكيره وفلسفته . فيحترمه ويشعر بالندم لأنه خانه ، واعتبر انه اذا استمر فى ذلك فانما يخون نفسه وعلمت جولى من نظرة واحدة باحساس ليوس وان ما بينهما قد انتهى ، وفى ليلة هذا اللقاء تصعد الى مخدع زوجها فتنتقل سريره الى غرفته وبقربه لتعنى به وتخدمه وتسهر عليه ، وتصف حبها له من ذلك

الوقت فاذا به كعب الانسان لرب من الارباب

ويعتاد روبرت وليوس المقابلة دائماً ، ويتناقشان في الفلسفة والتاريخ والكتب يريد روبرت من ليوس أن يقرأ له فاذا يختاران ، يبدآن « بويلهم ما يستر » لجيته ثم يركانه الى ما هو أقوى وأبدع الى قورجنيف ويتم التلاؤم والتفاهم بينهما ، ويعجب روبرت ذات يوم وهو يفكر فيما قاله صوفي عن ليوس حين سألها عن شكله ، ابتلعت ريقها ثم قالت : أترى هذه التاثيل . التاثيل الخشبية من صنع القرن الخامس عشر ! اصداغ جوفاء وعظام نائثة وعيون غائرة في محاجرهما .. وقوام طويل وأيد طويلة .. ولونه كلون الخشب ! !

يذكر هذا ويقول : يا لله من الحقد ، ومن السخيمة ! .

وتستمر الحياة وهي تسير على هذه الوتيرة ، المسكين يريد أن يعيش لانه يجب جولى ولأجلها يتغلب وينتصر على الموت ، والقوم حوله يتهامسون بما بين جولى وليوس ؛ وهو يرفض أن يسمع ، الى أن تلاحظ جولى انه صار يستند على ذراعها حتى يصل الى البحيرات قيسنأذن منها ليخلو بنفسه ولبث كذلك ساعات حتى يقبل الليل ويعود متوكئاً على عصاه ، ففي ذات يوم يعود بوجهه مربرداً مكفهرراً ، فتسأله عما به ، فيجيب في بساطة كاملة ، أنت تحبين ليوس . فتسأله مضطربة ، وكيف عرفت هذا ؟ ! .

فيجيبها ، ببساطة : الهام وحجاب مكشوف ، تعترف ، وتسأله الغفران ، فلا يجيب بشيء غير انه يذهب عنها ليستعد للموت فلم تعد فائدة من الحياة ، ويأخذ البطل — من تلك الساعة — في الموت ، ويروض نفسه على الموت ويحتمل آلامه ، وتأخذ هذه الآلام في التكاثر والتكاثف وتعنى به جولى عناية فائقة ، ويعوده ليوس كأعز الأصدقاء ، والرجل صامت لا يشكو ولا يتكلم حتى يشرف على التلف فتأتي صوفي في يوم عابس وتقف وبجانبه تنفث سمها كالافعى فتحكي له كيف خانته زوجته في غيابه ،

وتزيد بلاءه وتقضى عليه وتطحنه طحناً وهي تخبره أن المانيا انكسرت ووقدت النصر .
ولكن ذلك الاله المحتضر لا يتكلم ويشعر بدنو أجله فيدعو اليه جولى وليوس ،
فتسأله ، أتحترقنى ؟ فيقول : معاذ الله ، انا لقوم علونا فوق مرتبة الغيرة والأحقاد ،
وينظر إلى ليوس ، ويقول : أنت صنعت هذه المرأة فهي لك ، ويجعل يده فى يدها ،
ثم يبكي ، وبعدها يسلم الروح !! »

يهرب ليوس إذ اصبح لا يستطيع البقاء لحظة واحدة فى ذلك الجوار ، ولا يعود
يفكر حتى فى أن يظفر بحب جولى . أو بقرىها . لقد انتهى ذلك الحب وتفككت
وشيجته ولم يعد من سبيل الى التفكير فيه انه يجد من الخيانة لذلك الاله الذاهب أن
يفكر فى جولى ، بالرغم من أنه جعلهما لبعضهما وهو فوق سرير الموت

أما جولى فتجد نفسها وحيدة ، وحدة أظع من وحدة المقابر ، ليوس هرب ،
وهي علمت أن فصل الحب انتهى ، انتهى الى الأبد بموت روبرت ، ووجدت فجأة أن
أهل القصر الذئاب ، أخذوا ينهشون لحمها ، أخذت صوفى تجمع الجموع وتهاجم
وتبرهن للبارون أن جولى وليوس كانا يقترفان العار تحت سقف منزله ، وأخذت
البارونة تحشى على جولى من التزوج بفقير كليوس وتذهب اليه خفية فتأمره بالذهاب
من نواحي القصر بسرعة ، تقول له اسرع . لأن البارون عرف ما بينك وبين جولى .
فتراه كصخرة جامدة ويقابلها فى فتور تام ، وتجده يعد حاجاته للذهاب

لا يزال البارون يدافع عن جولى . وهم حوله يكيلون لها التهم جزافا . يقولون
أنظر الى الأقفال التي فى غرف البرج . انها غير موجودة . أو تالفة . فيجيبهم ليس
هذا برهان ، فيقولون . كانا يقضيان الليل معاً فى البرج ، فيجيب ليس هذا برهان ،
هل رأيتموها فى ربية . يقولون . كلا . وتحكى صوفى كيف كانت ترتاب ، وتحاول
أن تضبطهما معاً . ومع الأسف لم توفق ولكن هى مقتنعة بما كان بينهما : فيغضب
البارون ولكنه حين يخلو الى نفسه يذكر فى الحال سفره مع جولى إلى لاهاي ،

وكيف لقيهما ليوس هناك . أدرك البارون في الحال أن هذا برهان كاف . ويقوم الى غرفة جولي ويسألها في غير رياء عن علاقتها بليوس فلا تجد حاجة الى الكذب وتعترف فيضطرب الرجل ويتصبب العرق البارد من فوق جبينه ، فتشفق عليه وتسأله كما سألت زوجها : أتحترقني فيجيب الآخر معاذ الله يا بنية .

هذه صورة بطل آخر ، سحقه أن يرى التي يعزها تسقط في الهاوية ، ولكنه لا يحترقها . ويسمو حبها عنده فوق كل شيء . ويخرج من حضرتها كالبطل المنهزم فيلاقيه جيش الخصوم ساخرين ، ويقولون : أعامت . ألم نقل لك . ؟

فيصبح : اسمعوا أيها السادة . أنا لا أزال سيداً هنا . وهذه الدار داري . وهذه الأملاك لي . أنا السيد هنا . أسمعتم ألا فاعلموا أن الذي يذكر هذه السيدة بسوء يمسنى أنا . أسعدتم مساء

وتسمع جولي بما حدث ، فتكبر الرجل وترى نفسها غير قادرة على البقاء لحظة في منزله لثلاث سوء كبرياءه المحطم فتجتمع ثيابها وتهرب من القصر في فمة الليل . . أين تمضي . تمضي الى الحبيب ليوس فيقف حائراً مشدوهاً . وقد وقف شبح روبرت أمامها ولكنها تجثو أمامه . ويريان نفسيهما طريدين في ذلك العالم فيحتضنها اليه . ويأخذان باخرة مسافرة ، الي حيث يريدان حياة جديدة ..



الحرمان

فصحة مصرية

الحرمان

قصة مصرية

جلست فيفي أمام المرأة ، وبينما هي تضع الاحمر في شفيتها ، وبينما هي تفكر في إخوتها الذين ينتظرونها . وفي السينما الذي ستذهب اليه معهم . خطر لها خاطر أضحكها : ان الفرق بين المرأة والمرأة بسيط مدة وهمزة كل ما هنالك .

هل لاحظ ذلك مجدى الفيلسوف الشاعر الذى لا يفوته شىء ؟ ان لم يكن قد لاحظ ذلك قبلا فهي ستلفت نظره اليه وستجعله موضوع دعابة حين تلقاه
- فيفي ! فيفي يّلا بأه ، أيه التأخير ده ؟

- حاضر . دقيقة واحدة .

وعادت تسكمل زينتها وترتدى معطفها وقبعتها ، فلم تسكد تتناول القبعة وتهم بالخروج حتى وقع بصرها على مجلة (العبرات) موضوعة على منضدتها ، ورأت على غلافها بالخط الكبير (الحرمان - قصة مصرية تأليف يوسف مجدى) من جاء بهذه المجلة إلى غرفتها ؟ أخوها عزيز . فهو الراديو الذى يذيع فضل مجدى ؟ أو أختها (ميمي) ؟ من يدري ؟ ولكن الحرمان ، ما أقساه من اسم ، لساذا يصر مجدى على تلك النظرة القائمة للحياة ؟ مجدى الضحوك الذى لا تفارقه الدعابة والذى يستجيد النكتة ويصفق لها ، مجدى شخص آخر فى كتبه ، فهو لا يرى الا أن الحياة سخرية سخيفة ، ولا تنزل الستار فى قصصه الا على مأساة .

- فيفي ! فيفي جرى إليه ؟

تنهت فيفي كمن يستفيق من حلم ، ووضعت قبعتها بسرعة ونظرت نظرة أخيرة

الى المرأة وعادت فضحكت لقرب اللفظتين المرأة والمرأة .
وخرجت الى حيث ينتظرونها ومضت معهم الى السينما .

* * *

كان السينما غاصاً بالناس ، وقد تجمعوا في بهو الخارجي كل ينتظر دوره -
صنوف متباينة ... فهناك الشاب العاري الرأس ، يرتدى بنطلونا واسعاً ، ويضع
سيجارة انجليزية في فمه ، وهناك الكهل الذي يدعى أنه لم يتخط الشاب ، وهناك
الاشيب الذي لا يستطيع أن يغالط ، وهناك المرأة الشابة التي تأكلها العيون ،
العجوز التصايبية ، التي تشيح عنها الأنظار ، وتقبل سيارة بعد أخرى ، فينزل منها
ذكر يمد يده ، فتظهر الأثى عند بابها فيمد ذراعه فتتأبطه وتسير إلى جنبه في زينتها
الكاملة وهو فخور بها يكاد يقول للناس هذه الفتنة هي لي دونكم . ثم يمضي الى
نافذة التذاكر وقد ترك هذه الفتنة حيناً ما وأخرج كل الفضة التي يجيبه كأنما يقول
للناس انظروا انني غني .

وقفت فيفي بعيدة عن رفاقها وقد شرد لبها فجأة وهي تلاحظ كرا أو أنثى يقبلان
في تا كسي ، لقد استرعى نظرها ككل امرأة ثياب المرأة أولاً ، ففحصتها بسرعة
من رأسها الى قدمها . ورأت فيفي نفسها في الخيال تنزل من سيارة زرقاء كبيرة ،
في أتم زينتها والى جانبها رجل . رجل ذابل ناحل ؟ أخذ ذراعها في ذراعه ..

- فيفي ، تعالي بتفرجي على ايه ،

فتركت فيفي ذراع صاحبها في الخيال والتفتت الى أخيها عزيز الذي ناداها ،
قائلة (رواية إيه النهارده ؟ أنا ماشفتش البروجرام) ؟

- رواية جميلة اسمها (الحرمان)

فأمسكت فيفي بجنبها كأنما وخزتها حربة ، ثم تمالكت قواها وتبعث أخاها

وشقيقاتها الى الألواج وألقت نظرة ساخرة الى الآنسة الجالسة في نافذة التذاكر
كتمثال من الشمع يلقي ابتسامة تجارية هنا وهناك ،

وكانت الألواج ممتلئة وكل جماعة تلقى نظرة متعالية على الجماعة التي تجاهرها بعد
أن تفحصها وتشعرها أنها أحسن منها قادرة على المجيء الى السينما كل ليلة ،

ألقت فيفي نظرة على اللوج المجاور فرأت شخصاً بمفرده يدخل في هدوء وقد
جلس جلسة اطمئنان ، ولم يكن يبدو عليه أنه ينتظر أحداً فصاحت فيفي (مجدى اهه)
فاتتبه مجدى ، وأقبل في ظرف يرد التحية وبتهلل . قال عزيز . تعال اجلس معنا ، لماذا
تجلس وحدك ؟ دائماً وحدك ، وفي لوج ! أجب مجدى . اني أحب أن أراقب هذه
الجمهير من أعلى ، أراقب هذا البحر من صخرة بمفردي . فضحكت فيفي وقالت ،
دائماً فلسفة ، ان الفلسفة تأكل جسمك أ كلا ، أنظر كيف أصبحت ، مسكينة
زوجتك ، ولكن أين هي ؟ أين هي ؛ ولماذا لم تحضر معك ؟ عزيز يقول ان الرواية
بديمة واسمها كاسم قصتك ، فهل هذا محض اتفاق ؟ أم هي التي أوحت اليك ،
أجاب . بل اتفاق عجيب ، أما زوجتي فهل تفضل النوم دائماً على السينما ؛

وكانت رواية الليلة مخزنة قاسية . حبيب على قيد خطوة من حبيبه وهو محروم ،
وفقير على قيد خطوة من الثروة وهو محروم ، وعليل على قيد خطوة من الدواء وهو
محروم ، وظالم على قيد خطوة من الماء وهو محروم ... أى شيطان هذا المؤلف ؟
لم يدع محروماً الا أنى به وحشره في روايته ، ولم يكذب ينتهي الفصل الأخير حتى
أخذت المناديل تجفف الدموع ، دموع الحرمان في مئات الأعين .

ورفعت فيفي مندليها الصغير المزركش ترى أثر الرواية في وجه (مجدى)
فصادفت عينها هاليتين كبيرتين عميقتين قد دفنتا آفاقاً من المتاعب والذكريات . وأخيراً
استقل مجدى سيارته الزرقاء الكبيرة ورأت فيفي سيارة الخيال تختفي بصاحبها في

مجاهل الظلمات فصاح بها صائح خفي . أتعجبك هذه السيارة ؟ إنها سيارة الحرمان .
فيفي . دائماً سرحانة . يلاً بقي . وكان هذا صوت ميمي تنادياها .

دق جرس التليفون ...!

— منزل أنيس بك ؟

— أيوه ، حضرتك مين ؟

— دولت عزمي ، فيفي هنا ؟

— صوتك متغير !

— عندي برد !

— سلامتک !

— بكرة عيد ميلادي وعندى هيصه ولازم تيجوا انتي واخواتك !

— إن شاء الله - ميرسى - أوفوار !

صفية أنيس ، أو فيفي كما يدعونها تدليلاً هي مثل تام لفتاة اليوم . كان أبوها
رحمه الله في سعة من العيش ، وهي أولى بناته فأحسن تعليمها وأرسلها الى البون
باستير ، والليسيه ، واسكى تتعلم العربية جاءها بالشيخ مكي ليدرسها العربي بالمنزل
وكعادة الأسر المصرية ، يسير بها الخادم في الصباح ويعود بها في المساء . ثم مرض
أبوها ، وكان أخوها الوحيد يدرس الطب في إنجلترا فاستدعوه على عجل ، فوصل
بعد فوات الأوان ووجد نفسه الرجل الوحيد الذي تعتمد عليه عائلة بجملتها ، فانتسب
الى كلية الطب المصرية ، وفي الوقت الذي تروى فيه هذه القصة كان يتقدم
للامتحان الأخير .

وكان عزيز كشاب ذكي مثقف قضى وقتاً طويلاً في أوروبا ، يعطي لشقيقاته شيئاً من الحرية ، ولكنها حرية محدودة لا تتمدى السينما والمسرح والزيارات العائلية . وهو في نفسه لم يكن راضياً عن هاته الحرية الضئيلة ، ويرى أن التطور وقف بالمرأة المصرية عند حد يدعو الى الاشفاق ؛ حد لا حيلة له فيه ولا الشباب المثقف الثائر أمثاله ، ما دامت الرؤوس المحافظة على التقاليد لا تزال حية تتحكم في الأسرة ، وفي يدها أزمة الأمور ، فلو أن الامر ترك لعزير لتمرد على التقاليد وقذف بالعوائد البالية ، ولكن هناك أمه وعمه وخاله ، وعمته وزوج عمته ، حوائل لا تصد وألسنة لها الله ! وكانت فيفي المسكينة التي قضت أوقاتها بين البون باستير والليسيه ، وقرأت موباسان وبورجيه وأناطول فرانس ، وسافرت في صحبة الراهبات الى باريز ، فيفي تعود الى بيت أبيها لتتناول من الحرية جرعا مناسبة لصحتها ، ولتنتظر الزوج الذي تأتي به أم محمود الخاطبة ! فيفي ترى مجدي صديق أخيها من الطفولة ، فترى مثل الشباب المتحرر يصطدم بالعوائد فيتزوج بواسطة الخاطبة كما ينتظر أن تتزوج هي ! الفت أن تراه معهم وبينهم لأنه صديق قديم وكانت تخالسه ويخالسها نظرات طويلة من العذاب والحرمان ، وطالما رأته يستقل سيارته الزرقاء فوقفت الى النافذة وأتبعته نظرة ساهمة طويلة ، ورأته يبادهها نفس النظرة التامة الشاردة !

كانت فيفي تستعرض في فكرها كل ذلك حين قرع جرس تليفون صديقتها دولت ، التي ثارت على التقاليد مرة واحدة ودعت الى صالونها شباناً وشابات يتحداثون ويلبون نداء الجنس في أدب تام وحياء كامل ، ولكنها كانت تذهب اليها كارهة لأنها كلما ذهبت تعود بحسرة . لأنها هناك ترى مجدي وتستطيع أن تخلو به ، ويرجعان سوية ثم ينصرف كل الى الطريق الذي رسمه له القدر ولا خيار له فيه !

مجدي ! دائماً مجدي ! يا لله من عينيه ، انهما تتبعانها حيث سارت وتقتفيان أثرها

حتى في أحلامها ، كان ينمحي جسده كله ولا تعود تري غير عينين فيهما بريق هائل
وأغوار عجيبة ، وطالما صاحتا بها : أتعجبك هذه الأعين ؟ أنها أعين الحرمان ! فتستيقظ
على عذاب يتغلغل في كل كيائها وتود وهي تشعر أنها تحب هذا الشخص الذي يفهمها
وتفهمه تماماً . تود لو مضى عن هذه الدنيا اذ هي لا تملك السبيل اليه ، ومادام هو صامتاً
صمت الليل الذي لا يتكلم إلا بكوا كبه .

— فيفي سرحانه في ايه ؟ دائماً عقلك شارد ؟ فانتبهت كمن يعود من عالم بعيد
مجهول ، ومرت بيدها على جبينها البديع تهديء ثورة ، وتعيد الى مكانها ذكريات
محمومة تهم بالوثوب ، فامست خصلة متمردة من شعرها الكستنائي البديع ، فارتعدت ...
شعر كستنائي جميل وقوام يقولون أنه مثالي . فتاة في الليسيه والبون باستير ... ولكنها
حبيسة أسيرة ، ثمرة ستمعطب على مهل أو يتناولها من يسرع بها الى العطب . سيان
إذن ، مادام العطب هو اختتام !

— فيفي . جرى ايه ؟ ماما بتنده عليكى !

فأسرعت فيفي الى أمها :

... فيفي . أنا رايحه عند تيزتك حميده هانم ، والليلة أتم معزومين عند دولت .
دولت طالعه فيها ، إياك اسمع انكم شربتم أو رقصتم !
— حاضر ياماما . ثم قبلت ابنتها وانصرفت .

وقفت دولت في ثوب رائع ، وقد قصت شعرها أكثر مما يجب فظهرت كغلام
فتان : اقبلت فيفي متهلة وفي ذيلها أختها الصغرى ميمي ، وفي ذيل هذه رشيدة .
— أهلا فيفي ! سنه ما حدش شافك ، اتفضلي اقدمك للضيوف .

وكانت الاركستر تعزف في البهو المتسع ، وفي الصالون جلس خليط من النساء
والرجال ، فقدمت دولت صديقتها فيفي للجمع وعرفتها بهم فرداً فرداً ، وبعد أن

أجلستها همست في أذنها : مجدى سيحضر بعد قليل
إذن دولت تعرف أن مجدى يهتم بفيفى ؟ من أين تعرف؟ هي لم تجربها ومجدى
لم تجربها لأنه لا يتكلم . إذن من أخبرها . هو قلب المرأة ، ذلك الترمومتر الحساس
الغريب ، قلب المرأة الذي يبصر ويشم ويسمع ، والذي له ألف إحساس وألف عين
وألف أذن . ورن صوت نفير . . صوت تميزه من آلاف غيره من الأصوات ، نفير
السيارة الزرقاء ، سيارة الخيال ؛ سيارة الحرمان وأعين الحرمان .

* * *

وبعد حين قدمت دولت الى الضيوف مجدى قائلة .

« الأستاذ يوسف مجدى الشاعر . كلكم عارفينه بالطبع

وكان مجدى يبدو محنى الظهر كمن يحمل اعباء كثيرة . ويكاد الذكاء ينطق فى
جبينه الواسع الذى بكرت اليه الغضون ؛ وكانت له مشية الواثق الذى تكونت
شخصيته وأيقن الى أين يمضى . وقد ظهر ذلك تماماً وهو يختار مجلسه فى غير تردد
كأنما بينه وبين المكان الفة قديمة . وكانت فيفى بعيدة عنه تراقبه من ركن مظلم
قليلا وتتعمد أن لا يراها . لقد كانت تخشاه . وتخشى ما ينتظره من المجد . وتخشى
اقبال النساء عليه . وتخشى نفسها . ومع كل ذلك تود لو أن شيئاً الفت نظره اليها .
وبعد ، فماذا يرى الناس فى ذلك الشاعر الناحل المريض . وماذا يغري النساء به ،
هاهى أمينة س . تتقدم بكرسيها اليه . وهاهى جليلة تراقبها فى غير . وهذه دولت
نفسها لا تكاد تمضى لترى شؤون الدار حتى تبادلها كلمة . أو تسأله إذا كان بحاجة
الى شيء .

كل هؤلاء الفتيات يرين فى هذا الرجل شيئاً خفياً يجذبهن اليه ، ويجيش فى
صدورهن ، كل هؤلاء الفتيات مثلاً حبيسات ، ثمار مثلاً مهددات بالعطب والبوار
اذن لماذا يحسدهن .

ان التي تجر كرسيتها اليه كالتى تراقبها كصاحبة الدار ، لو استطعن لصحن في صوت واحد . . الحرمان . الحرمان .

ومع ذلك فما هو شعور هذا الرجل . انه لا يتكلم الا اذا نظم قصيدة يتناقلها الناس وتصير على كل لسان ، قصائد كأنما ينزعه من أعماق بركان أغلقت فوهته وهو نائر . . . كانت فيفي تقول هذا الكلام للدمية الصامتة الموضوعة في الركن المظلم بالقرب منها حينما انتبهت على صوت دولت تقول :

« البوفيه اتفضلوا »

وقاموا الى البوفيه .

ووجدت فيفي نفسها تجاور مجدي . ففتح هو الحديث قائلاً : أين عزيز . أجابت : عنده امتحان باكر - قال إني دهشت لمحيثكم من غير رجل في صحبتكم على غير العادة . أجابت : جئنا في سيارتنا ومعنا سواقنا . فقطع عليها مجدي الكلام قائلاً : فيفي . ان الليلة باردة وأنت عارية الذراعين وأنا أخشى عليك ، قالت ضاحكة : عجباً هل أصبحت طبيياً . قال دعينا من المزاح إني أخشى عليك حقاً ، وأخذت هياته مسحة الجد وقال في صوت رقيق منخفض فيه رنة عجيبة من الطيبة والاشفاق والحنو شد ما أخشى عليك لو تعلمين . وأحست فيفي أن دماغاً يتجمع في عينيه وهو ينظر الى جسمها النحيل مشفقاً على ذلك الجسم من البرد والاذى .

إذن هو يحبها . ربما . آه لو ينطق أبو الهول .

ومرت دولت بهما كما تمر الريح الساخرة وتمعدت التي جرت كرسيتها اليه في البهو أن تلهيه عن فيفي ؛ والتي غارت أن تنزعه من كليتهما . . فدعته الى الرقص بعد البوفيه فأبى ، والى كأس من الويسكي فأبى ، وانصرف الى فيفي فقادها الى مكان لا بتطرق اليه البرد ، وكان ينظر الى جسدها الرقيق كمن ينظر الى كنز يحرص عليه ؛ فهل كان يتمنى أن يأخذه بين ذراعيه .

بالرغم من ذلك شعرت فيفي بالبرد وأحست برجفة وباحتها الى الانصراف
فأستأذنت فأذنت صديقتها راغمة واستصحبها مجدي هي واختيها ؛ وقد لفها بمعطفه
وجلس ساكنا مشفقاً والسيارة تنهب الطريق . .



أمسكت فيفي جنبها بينما هي تتنفس بصعوبة فائقة . وهمت بالقيام من فراشها
فلم تستطع . خانتها رجلاها وأتعبها الجهد فلهت كمن جرى بضعة أميال . وكانت
أما تمر في طريقها الى غرفتها . فرأت ابنتها تهم بالقيام ثم تعود فترقد فراعها ذلك
وأسرعت اليها . وما لبثت أن صاحت : أنت محومة . ألم أقل لك أن تتقي البرد .
ماذا نفعلك الذهاب الى دولت . واندفعت تتكلم وتسب دولت وأخلاق دولت وهذا
العصر الذي فسد فيه كل شيء . والذي يجري في تياره حتى بناتها التي تعبت في القيام
على تربيتهن . وجاءت دادة حلومه على صوت سيدتها لتسأل عن الخبر . فوجدت
الأم في هذا السؤال دافعاً جديداً للسخط على ابنتها وعلى صديقة ابنتها . وبعد أن
بلغت قمة الغضب . انحدرت فجأة إلى سفح الحنان وذهبت تبحث عن الترمومتر .
وتقلب دقت التليفون باحثة عن نعمة كلية الطب لتستدعي ابنها عزيز ثم ترك هذا
لتبحث عن علبة الاسبيرين . ثم تنتقل الى الاجر خانة الصغيرة المعلقة بالحائط لتبحث
عن شربة الملح فلا تجدها . ثم تذكر فجأة أن ميمي تعرف مكان كل شيء فتسرع
إليها لتوقظها . كل هذا وفيفي تشعر في جنبها بوخز كالحراب . وقد غمرتها الحمى
وتوهج خذاها وانتشرت ذوائب من شعرها الجميل متراخية أسيفة .

وعادت الأم وبناتها يحملن ما يعرفنه صالحاً لمعالجة الحمى . وهن ينتظرن المدد
من أخيهن . وأخيراً أقبل هذا المدد . مضطرباً شديد الاشفاق ؛ وأسرع الى فيفي
فتناول معصمها وعد النبض . وأخذ الحرارة . ثم أخذ سماعته ففحص الصدر والرئتين
واستعرض في ذهنه سريعاً ما قرأه في أمراض الصدر ليلة أمس . الامتحان قاب

قوسين وهو لا يعرف كيف يشخص حالة كهذه . ويفرض أنه شخصها . ماذا يصنع أكثر مما صنعه هؤلاء السيدات . ثم يدعو مجدى . مجدى ليس بطبيب ولكنه مخلص ذكي وسيقف بجانبه في هذه المحنة كما وقف في كثير غيرها . ثم صاح متكففاً الطائفة ومخاطباً أمه : —

— حاجة بسيطة . برد ويزول انشاء الله . حقنة كافور ودواء بسيط من الاجر خانة .

وذهب الى غرفته ليجهز الحقنة وينسخ التذكرة من دفتره الصغير ثم أرسل الخادم بخطاب الى مجدى يستدعيه .



لم يكن مجدى بالنزل حين ذهب الخادم بالخطاب . فأعطاه زوجته . ففتحته كعادتها في الخطابات التي ترد لزوجها بلا استئذان . وقرأته كمن يتعجب والتمتة بسخط على المائدة القريبة : دائماً عزيز وأهل عزيز . ماذا يريدون من مجدى . ألا يتركونه مرة مرتاحاً . ما شأنه هذه المرة بهذه الفيفي . ولماذا لا يستدعون الطبيب يا لهم من بخلاء . وسيدهم ، مجدى ملبياً دعوتهم بالطبع وستحرم منه ساعات طويلة وسيعود اليها منهوك القوي . غائر العينين شاحب الوجه . ألا يفهم انها تحبه . ألا يفهم انها تريد قربه . يا لله متى يفهم ومتى يدرك انها احق من هؤلاء الناس بتلك الرعاية التي يبعثها هنا وهناك . إن فيفي ليست اجمل منها . ودولت التي تدعوه الى منزلها من حين لآخر ليست أرشق منها قواماً . وم . هامم الجريئة التي تطلب منه مؤلفاته بالتليفون ليس لها سحرها ولا فتنتها . انها ستطلب اليه حين يعود الى المنزل ان لا يلبي دعوة ولا يزور أحداً . . أن الناس تفسده وتغير طباعه . وكم حاولت أن تصرفه عنهم وأن تبهججه وتسره . فحاولت عبثاً وهي تشعر أن المسافة بينه وبينها تبعد . إنه يهجرها . إنه لا يجد لسكلامها معنى . أصبحت لا تراه إلا عند ما يأتي الى هذه

اللوكاندة لياً كل ويستريح ثم يمضي الى حيث يحمل اعباء العالم ؛ موزعاً قلبه مضيعاً
شبابه يا حسرتاه . وهل له من شباب . ما باله لا يتكلم . ما باله لا يفتح قلبه ولا يخرج
عن صمته الشنيع . وأخيراً جلست في ركن وحدها تنتحب .
لقد كانت رفيقة تحب مجدى حقا .

ولكنها كانت تحب نفسها . وهذا ما جعل حبها ضئيلاً قزماً كالشعلة الضعيفة
لا تثير إلا قليلاً . ولا تفيد الا حرارة لا تجدى فتيلاً . ومجدي الذي يفهم كل شيء
يعرف هذا . وطالما صرح لها به فظنت أنه يجرحها واسترسلت في البكاء والتئويح أياماً .
ولما عاد مجدى ناولته الخطاب مفتوحاً فنظر اليها مجدى ثم الى الخطاب وكظم
غيظه . قالت ساخطة :

جيت ليه . روح لاصحابك . أصحابك كثير عايزينك . فشخص بصره اليها
كاظماً غيظه أيضاً فاستتبت قائلة : الساعة كام الآن . الرابعة بعد الظهر . قأين
كنت . مسكينة هذه الكلبة التي تنتظرك . وستناول غداءك الآن في صمتك الربيع
وتخرج بسرعة الى حيث يتخاطفك العالم والاصحاب ، وستعود شاحباً مريضاً تحمل
أعباء الدنيا فوق رأسك ، لالتنام بل لتسهر وتفكر ... وتفكر . وأخيراً . وأخيراً .
أصبحت عيشتنا لا تطاق . فشخص اليها كانظاً غيظه للمرة الثالثة .
قالت وقد هدأت ثورتها قليلاً . والآن أريد رأيك . بدى أعرف لي حل .

قال في هدوء كامل وضبط نفس عجيب تريدني رأيي : أنت تعرفينه ومع ذلك
فأني أعيدته على مسمعك . اني أشفق علي بصرك الذي لا يرى أكثر من باب هذه
الغرفة وعلى روحك التي لا تزيدني الحجم عن روح النملة أنا لا أكرهك وإنما أنا
حزين . حزين حتى الموت فصرخت قائلة : أنت تهينني وتجرحني . قال معاذاً الله . ودار على
عقبه وخرج مسرعاً . اماهي فانتقلت من سنيل من الكلمات الى فيض من الدموع والزفرات .

وأقبل المساء بسرعة ومعها الرهبة والقلق اللذان يلازمان الظلمة ، ومعها احساس خفى مجهول بأن القدر ينظم مؤامرة خلف الغسق القرمزي الداكن . بهذا أحس جيش الاحباب الواقفين حول فراش المريضة . وبهذا أحس عزيز الطبيب المبتدىء الصغير أمام العدو الخفي الكبير وهو ينظر من خلال ستور النافذة ويتسمع إلى صوت سيارة قادمة .

يا لله ! سيارة تحمل شخصاً ليس بطبيب ومع كل ذلك ، ففي هذا النفير صوت الخلاص ! ألم يتهلل عزيز ؟ ألم تفتح المريضة عينيها وتبتسم أساريرها لأول مرة في نهار عابس مستطير ؟ ها هو نور قادم من بعيد يبشر بابتسامته ان قارب النجاة في أثره ، ليكن كاذباً أو غير كاذب ، فان على شفته ابتسامة ، وربما كان الموت نفسه عذباً على ضوء حنان كهذا ؟

قال مجدى لعزيز على حدة : ليس عندنا دقيقة نضيعها . ألا ترى الزرقة التي تعلو شفتيها ؟ أنا لست بطبيب . وانما يمكننى أن أدرك بسهولة أن هذا من قلة الهواء الصالح في رئتيها ، ثم انك تقول ان عدد نبضاتها فوق المائة ، علينا أولاً بطبيين معك يشدان أزرك وبعد ذلك علينا أن نتناوب السهر ! فنظر اليه عزيز مدهوشاً من ذكائه العجيب وخرج ليستقدم طبيبين يثق بهما وترك مجدى في مكتبه .

وجد مجدى نفسه وحيداً ، فزال القناع الذى لبسه منذ هنيهة ، سقط بالرغم عنه ووقف مستنداً الى النافذة ناظراً إلى اللانهاية السوداء كرجل سحقه الدهر سحقاً . فيفني في خطر الموت . وكل بضاعته في سبيل اتقاذها قلب وابتسامة ! لماذا لم يكن الطبيب الذى يعنى بها ! لماذا لم يكن زوجها ؟ زوجها الذى يأخذها بين ذراعيه مقبلاً خصلاتها الناعمة وعينيها الذابلتين ؟ لماذا ؟ ولماذا يمضى الى منزله ليتلقى العاصفة بعد العاصفة وقد شبت روحه من تقلب الانواء والأعاصير ؟ آه أيها الحرمان انك جاثم في اللانهاية السوداء كعقاب هائل ناشراً جناحيك على العالم مادام مخالبك القاسية ،

ها هو مخلب منها يصل الى روح الشاعر المسكين فيتحسس مكانها ، محاولاً أن ينزع
المخلب فلا يستطيع ، وأخيراً ! هاهم الأطباء الذين سيشفون فيفي وليكن لا ! انه هو
الذي سيسهر بجانبها هو الدخيل الغريب ، الذي ليس له من صفة الا أنه صديق أخيها .
هو أقرب الناس الى المريضة الموسدة . اقربهم اليها لأنها توأم روحه ولأنه قدم قلبه
الذيح على هيكل الحرمان ! واستنجد بدمعة يخفف بها عن نفسه فلم يجد ، لأن دموعه
قتلتها في محاجرها كبرياء الرجل الذي يأنف ان يبكي !



قال الاطباء أنه التهاب رئوي وأنه صراع بين الحياة والموت ، وكتبوا تذاكرهم
وتركوا أوامرهم ومضوا . وماذا يعنيهم بعد ذلك ؟ لقد شاهدوا الف فيفي والف
التهاب رئوي ، وأصبحوا يتناولون أخبار الموت والشفاء في هدوء كما يتناولون الطعام !
وكان مجدي يترك منزله وعمله غير مبالي بما يقال عنه الى حيث يتناوب السهر

مع عزيز ، وكانت المسكينة في غيبوبة تامة لا تدري من أمر الدنيا شيئاً
كان الضحى يهيم أن يطلع ، وقد تعب عزيز وأكرى فوق الكرسي الطويل
بجانب السرير ، وكان مجدي خائر القوى يهيم أن يلقي بنفسه من العياء فوق الكرسي
المجاور لصديقه حين فتحت فيفي عينيها . افقت وتلفتت الى الدنيا حائرة كمن يعود
من عالم الغيب ، ورفعت عينيها الى الساهر فوق رأسها وقد فهت كل شيء !

ثم طلبت جرعة ماء ، فسقاها ، ثم وضع الكوب مكانه ، وافبل عليها فاحتضنها
وقبلها مراراً ، فنظرت اليه بعينيها كأنما ترد قبلاته بابصارها ، وفتح عزيز عينيهِ ،
فرأى فيفي في ذراعي صاحبه ، فأغلقهما كمن لا يرى . . !

وسمعتها تقول اني اشعر بالشفاء . . ! وسمعه يجيب : وانا ايضا !
ورأى نفسه في النوم يصارع القدر ويضربه لان مجدي لم يكن زوجاً ليفي !

النواقيس
لمحة من الادب الابطالى

النو اقيس

قصة لجبريل دانوتزيو الأديب الإيطالي المعروف

أصيب بياسكي بمرض الغرام فلم يغمض له جفن وظل ليلتين كأنما يقلب جنبيه على وخز الابرواح يشتم في سقيفته رائحة عقبة هي رائحة ثمر اللوز ولم يكن يدري من أين تأتي هاته الرائحة ويقول في نفسه « تلك يد القديسة بارب » غير أنه عاودته الذكريات ومرت أمام عينيه زلفينا كما رآها لأول مرة مستندة إلى جذع شجرة اللوز ترمي يبصرها إلى شراعي سفينة في عرض البحر وحولها موج من السكتان المزهر الأزرق وفوق رأسها نبت أبيض معطر يتهامس في ضوء الشمس . وقد فتحت عينها على مثل زهرتين رائعتين فلم يكن عند بياسكي شك في أن في قلبها زهراً عبثاً كذلك وأقبل الفجر على حدود البحر المتوسط وهو ماض في خيالاته ممدداً فوق حصيره وقد جعلته الذكري المجنونة الواهية يرى فجره المنبثق في ربيع حياته

وكان الفجر قد بدأ في خجل يكشف خط البحر الادرياتيكي البعيد فقام يتسلق السلم الخشبي حتى أصبح عند قبة الجرس وبلغ أوكار الخطاطيف

وكانت بالجو أصوات غريبة غامضة كأنها لهث الهارب . فمن تنفس الأوراق الى تماس النبت المخضر إلى خفق الأجنحة . وكانت المنازل مازال تحت سلطان النوم والسهل يفتح جفنه في الضباب الخفيف الذي يستره . وتماوجت أعالي الأشجار في نسيم ذلك الفجر الراكد وظهرت الربي تتدرج في ألوان بنفسجية حنونة وتدوب

في لون الأفق الأغر . وامتد البحر صافياً كصفحة الفولاذ وعلى هذا وذاك غلالة
من الصفاء والطراوة تضحل خلفها النجوم وتمضي واحدة بعد واحدة
وكانت النواقيس الثلاثة الصامته بأجوافها النحاسية ذات النقوش العربية تنتظر
بياسكي ليرمي باهتزازاتها الرائعة في انفاس الصباح . وأمسك بياسكي بجبالها . ففي
الهمزة الأولى أخذ أكبر الأجراس يرتعش ويفتح فمه الكبير . ثم أغلقه ثم عاود
فتحاه فانتشرت موجة من ذلك الرنين يتبعها زئير امتد فوق السطوح ونشrote الرياح
فوق السهل بأجمعه وعلى طول الشاطئ . وتلاحق الدوى ودبت الحياة في نحاسة
الناقوس كأنما هو مارء جن غضباً أو عشقاً فثار يمئة ويسرة فاتحاً فمه ذا الفوهتين
مرسلا في الفضاء نعمتين تضمهما زججة ممتدة مستمرة لا تلبث أن تقطع تناسق الصوتين
إذ يتآلفان في سرعة ثم تظن لهما رجفة كرنين البلور تأخذ في الانتشار والاتساع
في الفضاء

وتقابلت تحت القبة أمواج الصوت بأمواف الضوء فطرد النوم عن أجفان النوام
وأخذ الضباب يتصاعد ويتبخر فيأخذ لوناً مذهباً ثم ينحل في رونق الصباح . وأخذت
السفوح تصطبغ بلون النحاس وإذا بصوت آخر - صوت الناقوس الثاني - صوت
نأح أبح مشجوج كصوت الفريسة في بران الوحش . ثم تلا ذلك صوت آخر صوت
صوت الناقوس الثالث وكان بياسكي يسميه « الشادية » إذ كان ذا نغم رائق ضاحك
كوقع قطرات المطر على صفحة البلور

ثم هناك نواقيس أخرى استيقظت على نداء هذه فما ناقوس سان روكو الاشقر
التربص بين أشجار البلوط . ومنها ناقوس سانتا تريزا وناقوس الدير . أفواه عشر أو
خمس وعشر . نحاسية تنشر في الوديان ذلك النغم المنوع السماوي في زفة من النور .
وتملك بياسكي نشوة اسكرته وأنه خلقي بالرؤيا ذلك الغلام الكبير العظام العصبي
بندبته العقيقية التي فوق جبهته ، اذ يرفع ذراعيه لاهتافاً فيتسلق جبال الناقوس الكبير

ليبلغ الشادية فيقرعها وما يزال طنين الآخريين يدوي في الفضاء . لقد كان ملكا هنالك
حيث تسلقت البلاب بروح الشباب ذلك الحائط العاري العجوز والتفت بعروق
السقف الخشبي كأنها جنود حية وكست الحجر الأحمر بأوراق يابسة لامعة كأنها
قشرة منقوشة . وتهدلت برفارفها الكبيرة كمجموعة من الزواحف الدقيقة المغيرة
على الآجر الآهل بالأوكار القديمة العامرة بالخطاطيف العاشقة .

مسكين بياسكى . كانوا يدعونه بالجنون على أنه كان ملكا وشاعراً حيث هو .
فعندما تنحو السماء الصافية على القرية الزهرة ، ويلتهب بحر الأدرياتيك في شعاع
الشمس أو عندما تحفل الشوارع بالعمل وأهله ، يبقى هو في القبة كفرخ الصقر وقد
الصق أذنه بجناح الناقوس الكبير — ذلك الوحش الهائل الذي شج له جبينه ذات
مساء — وبين وقت وآخر يقرع باصابعه ليتسمع الى النغم الطويل اللذيذ وعلى
كثب منه تلمع « الشادية » كاللمسة وقد اكتست بالنقوش وبينها صورة القديس
انطوان . وبالقرب من الشادية الناقوس الثاني الذي إصيب جوفه بشق كبير وتثلثت
شفتاه .

كم من فكر حول هاته النواقيس وأحلام مشردة غريبة وطيوف من العواطف
والرغبات ! ويا لله من خيال زلفينا الجميل إذ يطالع على ذلك الموج الصامت في الاظهار
المشتعلة أو يضمحل مع الغسق الذاهب حينما بدوي الناقوس الكبير دوي الوداع
وتبطين رناته حتى تموت على مهل .



ذات يوم من ابريل تقابلا خلف شجرة الجوز تحت سماء لبنية في سمتها عسجدية
نحو مغربها وكانت هي تغني اذ تجز العشب لبقرتها . وصعد عقب الربيع الى رأسها فمال
بها كأنما تستنشق خمرأً لذيذة وكلما مالت مس دثارها جسمها العاري مسا خفيفاً

كانما يعث به فأحست سروراً لذلك واطبقت عينها نصف اطاق . فأقبل يياسكي
يتخطر .

وقد جعل قلنسوته الى الوراء ووضع باقة من القرنفل خلف اذنه ولم يكن غلاماً
شريراً . كان ذا عينين سوداوين كبيرتين يبدو فيهما حزن قاس ونوع من الحنين .
من تلك العيون التي تذكرنا بعين الوحوش في الأسر . وكان له في صوته شيء من
السحر العميق غير المألوف فهناك في أعلى القبة حيث عاش يصطحب النواقيس كان
على اتصال بالهواء الطلق والنور العظيم والوحدة الكبيرة . وتعلم من كل هذا لغة لها
رنينها وانغامها وعمقها .

قال : « ماذا تصنعين هنا يازلفينا ؟ » قالت : « اجمع العشب لبقرة الأب ميشيل .
هذا ما اصنع ! » وما زالت منحنية تجمع العشب وصدرها يخفق
قال : « آه يازلفينا ما أطيب الرائحة ! لقد كنت في اعلى القبة ورأيت الزوارق
تدفعها الرياح وبصرت بك وسمعتك تغنين » ووقف عند هذا الكلام إذ احس بصوته
يختمق وسكت الاثنان معا . وهما يصغيان الى حفيف أوراق شجر الجوز وهدير البحر
البعيد . وشحب لون يياسكي ثم مال هو أيضا نحو العشب وانطلقت يده تبحث عن
يد زلفينا المحمرة كالجمر

قال وهو ممسك بيدها : « تريدن أن أساعدك ؟ »

قالت : « اليك عنى » وازداد صوتها ضعفاً وهي تصيح « اتركني »
ثم استسلمت اليه وتركته يقبلها وبادلته قبلاته ومدت اليه شفتيها اذ تقول :
« لا لا ! شفتين جميلتين رطبتين كثمر الشليك »

ونما العشب على مر الزمن ونما الغرام ايضا وفي وسط ذلك اليم الاخضر انتصبت
زلفينا الهيفاء وقد عقدت مندبلا على جبينها وصدغها . لله ! أى غناء مرح تحت

ظلال التفاح والتوت وعلى طول الاغصان المحملة بزهر العسل ! بينما هناك عند القديس
انطونيو انطلقت « الشادية » في نغم مرح طروب كالطائر العاشق !

ذات صباح وقف يياسكي ينتظر زلفينا عند الحوض وفي يده باقة من زهر القرنفل
جمعها لها . وطال انتظاره وهي لم تأت بعد فقد كانت مريضة بالجدري . مسكين ذلك
الغلام فإنه ما كاد يعلم بذلك حتى جمد الدم في عروقه وصار يترنح أكثر من تلك الليلة
حين شج الناقوس رأسه . والذي ساءه هو أن يضطر الى شد حبال الناقوس بكل قوته
وهو الواهي القوي الخائر القلب وكان ذلك في يوم أحد ضحكت فيه أنوار الشمس
واهتزت اغصان الزيتون وتجمعت سحب الأريج وتصاعدت الاغاني والصلوات إلى
اذنه . بينما زلفينا تتألم ألما لا يعلم به الا الله .

ومرت أيام سوداء . كلما اقبل الطلام ذهب يياسكي يرود منزل زلفينا كما يرود
الثعلب المقبرة فقد كان يقف عند النافذة المغلقة وينظر الى بصيص النور بعينين
متورمتين من البكاء ثم ينطلق الى مكانه في القبعة كالمجنون حيث يقضى ليلته الطويلة
بالقرب من نواقيسه الصامتة . وقد جند له الحزن حتى غدا كالجثة البالية وتحتته
الأزقة المغمورة بنور القمر والصمت الرائع . وأمامه البحر القلق يضرب بعبابه
الشواطئ المهجورة . وفوقه زرقة السماء القاسية

وهناك كانت زلفينا تلفظ أنفاسها الأخيرة وقد شوه الداء وجهها . رقدت صامتة
بين الشموع الشاحبة في ضوء الفجر القادم وبين الهمس والصلوات ، همت مرتين
أن تتكلم فرفعت رأسها الأشقر ولكن وقفت الكلمات في حلقها وقد خائها الهواء
وهجرها النور وحركت شفيتها بقول غير مفهوم كالحمل الذي يح ثم أصبحت في
برودة الموت !

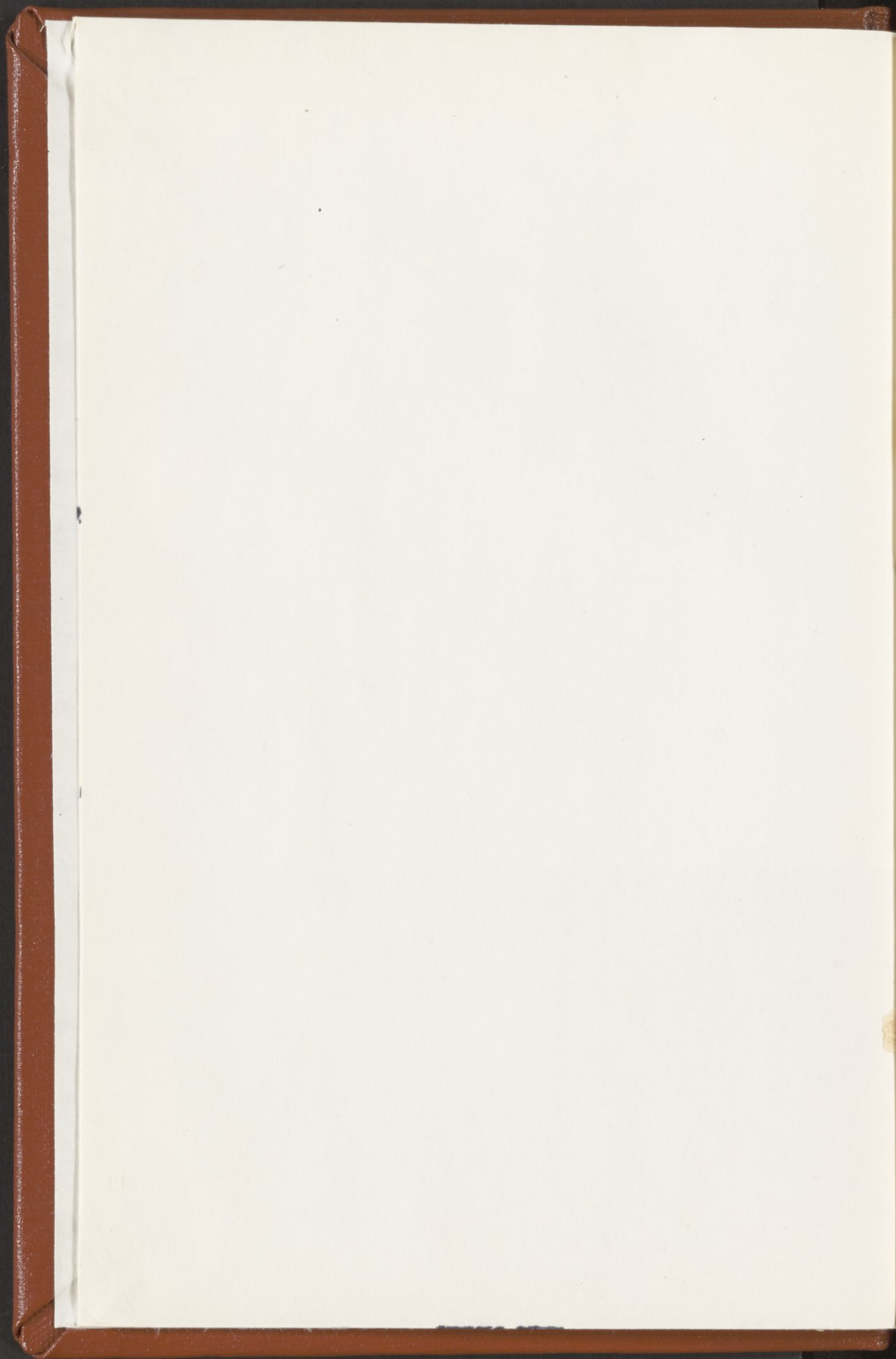
وعلم بياسكي المسكين بأمرها فمضى كالمعتوه الزائع البصر ليرى ذلك النعش
المكمل بالزهر وفي داخله امتد ذلك الجسد الذي عدا عليه الداء ودب اليه الاضمحلال
وانتلف خلف الكفن الأبيض . فرمي بنظره اليه وقد اختلط بالجمع ثم عاد الى مكانه
من القبة فأخذ جبل الناقوس فجعله عقدة حول عنقه فأذا به جثة هاوية في الفضاء
ولم يبق للمسكين من أثر ولا ذكرى غير بضع نغمات انطلقت بها « الشادية » في أثره
وسرب من الطير ربيع فانطلق في نور الشمس .

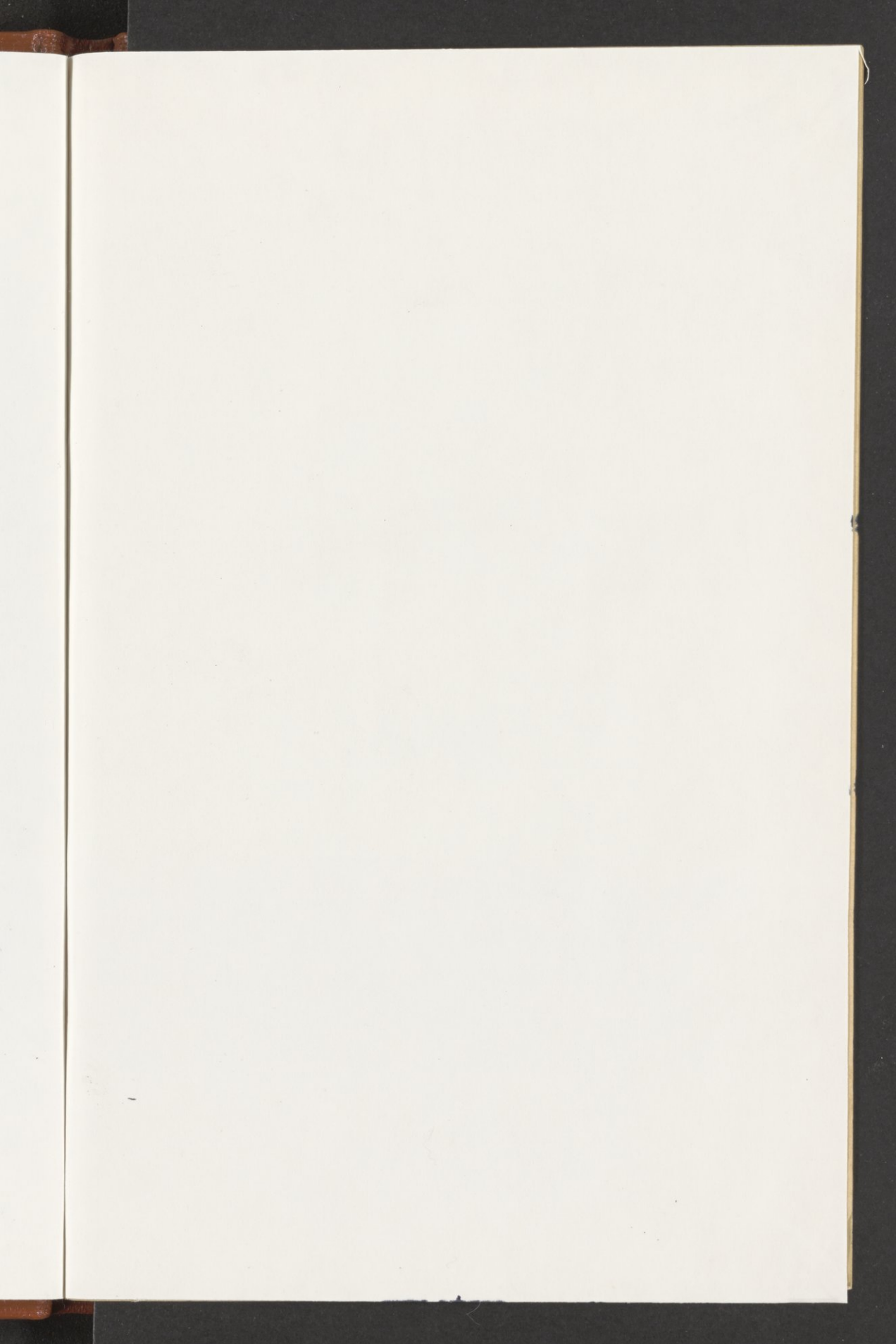


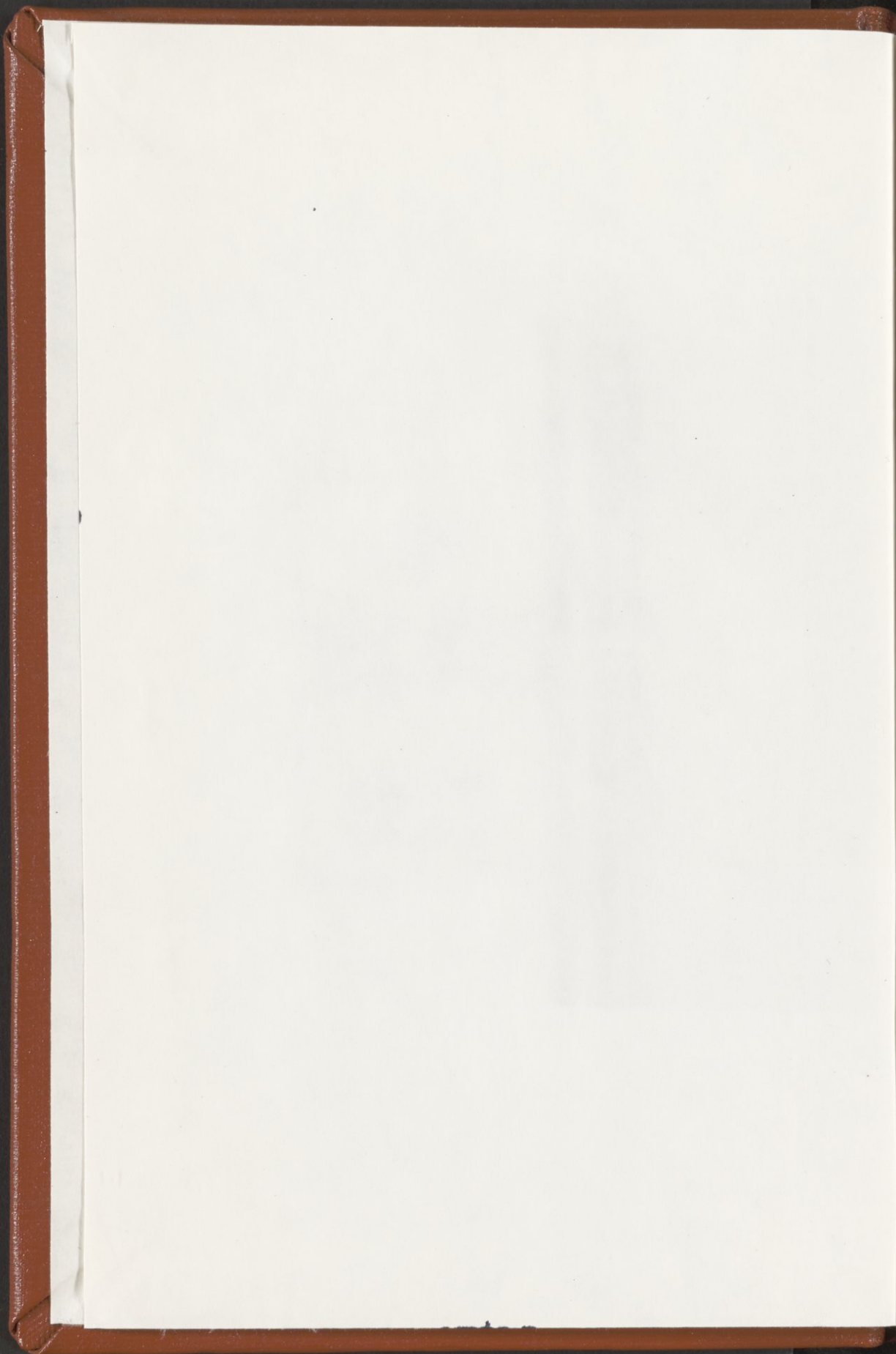
~~*~~

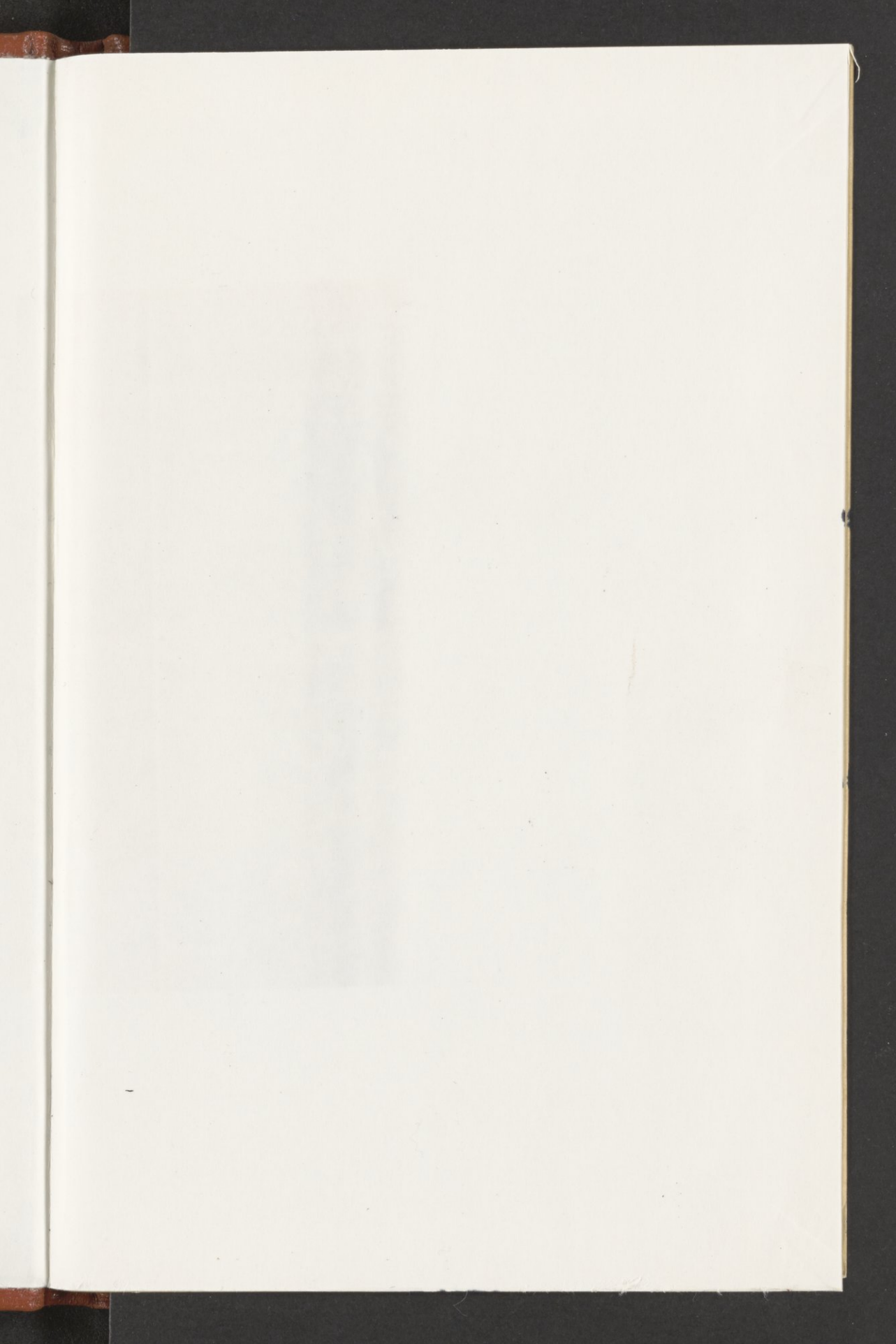
[Faint, illegible handwriting]













**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

NYU - BOBST



31142 01606 0470

PJ7852.A519 M33 1940z

Madinat al